لحظات فارقة
عبد الغفور مغوار
مجموعة قصصية

لحظات فارقة

عبد الغفور مغوار

مجموعة قصصية

إهداء

أبي وأمي، أهدي هذا العمل، إلى روحيكما الطاهرتين اللتين طالما كانتا نور دربي وسر قوتي. فلكما الفضل في كل حرف خطه قلمي وكل فكرة نمت في وجداني. تغمدكما الله بواسع رحمته ورفع درجاتكما.

إلى أسرتي الصغيرة، أنتم سندي وعزوتي، ومصدر إلهامي الدائم. ولإخواني وأخواتي، رفاق الدرب وشركاء الحياة، محبتكم أغلى ما أملك.

إلى أصدقائي الأوفياء، الذين شاركوني الضحكات والأحلام، وكانوا خير رفقاء في حياتي.

لكم مني كل الشكر والامتنان.

توطئة

أيها القارئ الكريم، رفيق دربي في هذه الرحلة السردية، اسمح لي أن أستهل رحاب هذه المجموعة القصصية بحديث من القلب إلى القلب. لطالما كانت الكتابة بالنسبة لي أكثر من مجرد هواية؛ إنها فضاء رحب أتسع فيه لذاتي، وأبث فيه خواطري وهواجسي التي طالما تشابكت خيوطها في أعماق روحي. هذا الكتاب الذي بين يديك الآن، هو حصيلة تجارب، وتأملات، وأحلام، سكنت وجداني لسنوات، وتجسدت أخيرا في هذه الصفحات لتشاركني هذا العالم الذي نسجته من خيوط الواقع ووشوشات الخيال.

كل إنسان يحمل في ذاكرته لحظات فارقة، تلك اللحظات التي تغير مجرى الأيام، وتترك في الروح ندبة أو قبسا من نور. هذه المجموعة القصصية التي بين يديك، عزيزي القارئ، ليست سوى محاولة لالتقاط تلك اللحظات، وتقديمها في قالب قصصي يعكس عمق التجربة الإنسانية، وتقلبها بين أمل وألم، بحث ودهشة، وحدة وحنين.

في كل قصة من قصص هذه المجموعة "لـحظـا ت فـا رقـة"، ستجد جزءا مني، جزءا من الحيرة، من الأمل، من الألم، ومن الشغف الذي يدفعنا جميعا لمواجهة الحياة بكل ما فيها من تقلبات. لقد سعيت جاهدا أن تكون هذه القصص مرآة تعكس جوانب متعددة من التجربة الإنسانية، أن تلامس شغاف قلبك، وتدفعك للتفكير، وربما لتغيير بعض المفاهيم التي رسخت في ذهنك. لم أكن أهدف يوما إلى مجرد سرد الأحداث، بل إلى الغوص في عمق

النفوس، واستكشاف دوافع الشخصيات، وتصوير الصراع الأزلي بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

تأتي في بداية هذه الرحلة السردية أول قصة بعنوان "استيقاظ غريب" لتأخذ القارئ نحو عتبة الحلم والواقع، حيث تتداخل الحدود وتتشابك الأزمنة. هناك، في ذلك البيت الغامض، وفي تلك اللحظة المربكة بين النوم والصحو، تبدأ الأسئلة الأولى حول الهوية والوحدة والمعنى. في هذه القصة، ستجد نفسك محتجزا داخل عالم يتداخل فيه الواقع مع الكابوس، حيث تتلاشى الحدود بين اليقظة والمنام. لقد حاولت أن أصور ذلك الشعور الغامض بالوحدة والانفصال، عندما يجد المرء نفسه وحيدا في مواجهة ظروف غير مألوفة، وكأن الزمن يتوقف، وتصبح الأماكن المألوفة غريبة، والوجوه المحيطة بلا ملامح واضحة. إنها دعوة للتأمل في طبيعة إدراكنا للواقع، وهل ما نعيشه حقيقة أم مجرد تهيؤات عقلية؟ هذا التساؤل المُلِحّ يتبعني، كظلي، منذ زمن بعيد، وهو الذي دفعني لأخط هذه الكلمات، محاولا فك طلاسم هذا العالم الغامض الذي نعيشه، والذي غالبا ما يكون أغرب من الخيال نفسه. فكم من مرة استيقظتَ أيها القارئ لتجد نفسك في موقف لم تكن تتوقعه، وتسأل نفسك: "هل هذا حقيقي؟". هذا هو الشعور الذي أردت أن أنقله إليك، شعور التذبذب بين اليقين والشك، بين الإدراك والوهم.

أما قصة "أكان ينبغي ألا أحلم؟!" فهي صدى لتساؤل وجودي يرافق الإنسان منذ الطفولة: هل الحلم ضرورة أم عبء؟ هل هو ملاذ أم فخ؟

هذا السؤال هو محور كل ما ستطالعه. إنه سؤال يتردد صداه في أروقة حياتنا جميعا. هل الأحلام مجرد هروب من واقع قاس؟ أم هي وقود يدفعنا نحو تحقيق المستحيل؟

في "صمود أرواح" و"الطلقة ما قبل الأخيرة"، تتجلى قدرة الإنسان على المقاومة، وعلى اتخاذ قرارات مصيرية في لحظات حرجة. كل قصة هنا هي مشهد من مشاهد الحياة، لحظة فارقة قد تغيّر كل شيء، أو تكشف عما كان خافيا. "الفرصة" تذكّرنا بأن الحياة تمنحنا دوما إمكانيات جديدة، حتى في أحلك الظروف، وأن كل قرار نتخذه هو بداية لمسار جديد، قد يكون خلاصا أو عبئا جديدا.

في هذه المجموعة، لم أكن مجرد كاتب يسرد الحكايات، بل كنت جزءا من كل شخصية، أعيش معها معاناتها، وأفرح لأفراحها، وأتعلم من أخطائها. لقد كانت الكتابة بالنسبة لي عملية اكتشاف لذاتي وللعالم من حولي. كل قصة حملت لي درسا، وكل شخصية علمتني شيئا جديدا. ولعل أجمل ما في هذه الرحلة هو أنني لم أكن وحدي؛ بل كنت مع القارئ المستقبلي الذي سيفتح صفحات هذا الكتاب، ويصبح شريكا لي في هذه الرحلة، يضيف إلى القصص بعدا جديدا من خلال تجربته الخاصة وتفسيره الخاص للأحداث.

أود أن أشاركك، أيها القارئ العزيز، المزيد من الأفكار التي شكلت النسيج الأساسي لهذه النصوص السردية الصغيرة. فبعد التأمل في غوصنا الأول في عالم "استيقاظ غريب" وسؤالنا المحوري "أكان ينبغي ألا أحلم؟!"، ننتقل إلى عوالم أخرى لا تقل عمقا وتساؤلا. لم تكن الكتابة بالنسبة لي مجرد هروب من الواقع، بل كانت، ولا تزال، مواجهة له، محاولة لفك رموزه، وتفسير ألغازه. كل قصة هنا هي بمثابة نافذة صغيرة أطل منها على جانب من جوانب الحياة، محاولا التقاط لحظات الحقيقة العارية، تلك اللحظات التي تكشف عن جوهر الإنسان في أبهى صوره وأشدها ضعفا.

ولعل "الفرصة" تتبع هذه الفكرة، ولكن بمنظور مختلف. هل الفرص تأتي مرة واحدة في العمر؟ أم أنها تتجدد باستمرار ونحن من نغفل عنها؟ هذه

القصة تدعو إلى التأمل في طبيعة الفرص، وكيف أننا في كثير من الأحيان لا ندرك قيمتها إلا بعد فوات الأوان. إنها تذكرنا بأهمية الانتباه للحظة الحالية، والقدرة على اغتنام الفرص عندما تظهر، حتى لو كانت متخفية في ثوب التحدي أو الصعوبة. أردت أن أسلط الضوء على أن الفرص ليست دائما هدايا سهلة، بل قد تكون اختبارات تتطلب منا شجاعة وذكاء لاستغلالها. هذه القصة هي دعوة للتفاؤل.

في "الليل والطفل الذي كنت"، عدتُ إلى الماضي، إلى تلك المرحلة العمرية التي تشكل أساس شخصيتنا وتترك بصماتها العميقة على كل ما نصبح عليه. هذه القصة هي بمثابة رحلة إلى الذات، محاولة للتصالح مع الطفل الذي يسكن في أعماق كل منا، والتأمل في تأثير تجارب الطفولة على حياتنا اللاحقة. إنها قصة عن الحنين، عن البراءة المفقودة، وعن الأسرار التي نحتفظ بها من تلك المرحلة، والتي تستمر في التأثير علينا حتى في الكبر. لقد حاولت أن أصور العلاقة المعقدة بين الأنا الحاضرة والأنا الماضية، وكيف أن الليل، بهدوئه وسكونه، يمكن أن يكون فضاء مثاليا لعودة الذكريات والتفكير في المسارات التي سلكتها حياتنا.

"الوداع"، هذه القصة تتناول أحد أصعب التحديات التي يواجهها الإنسان: لحظات الفراق. سواء كان فراقا للأحبة، لمكان، أو حتى لحلم. إنها قصة عن الخسارة، عن الألم الذي يتركه الغياب، وعن كيفية التعامل مع هذه المشاعر التي تقتحم أرواحنا بلا استئذان. لقد حاولت أن أصور لحظة الوداع بكل تفاصيلها المؤلمة، ولكن أيضا بلمسة من الأمل، بأن الذكريات الجميلة لا تموت، وأن الحب يبقى خالدا حتى بعد الرحيل. الوداع ليس نهاية كل شيء، بل قد يكون بداية لشيء جديد، لوعي أعمق، أو لتقدير أكبر

لما نملك. في كل وداع هناك درس، وفي كل خسارة هناك فرصة للنمو والتطور.

في كل هذه القصص، حاولت أن ألامس جانبا مختلفا من التجربة الإنسانية، وأن أدعو القارئ للتفكير في حياته الخاصة، وفي اختياراته، وفي كيفية مواجهته للتحديات.

وتمضي بنا رحلة الكتابة والتأمل في عوالم هذه القصص، التي لم تكن مجرد نصوص أفرغتها على الورق، بل كانت تجليات لتساؤلات عميقة، وتجارب إنسانية تتجاوز حدود الزمان والمكان. إنها صدى لأصوات داخلية، ولهمسات أزمنة مضت، ولآمال تنتظر أن ترى النور. في كل كلمة، حاولت أن أضع جزءا من روحي، من رؤيتي للعالم، ومن إيماني بقوة الحكي في تغيير الذوات وفتح آفاق جديدة للفهم.

في زاوية أخرى من هذه المجموعة، ستجد نفسك أمام قصة "بهجة العيش بلا ثمن"، حيث يطل عليك الأمل من نافذة غير متوقعة. هنا، لا تُقاس السعادة بما نملك، بل بما نشعر به في أعماقنا حين نتحرر من قيود المقارنات والانتظارات. أردت أن أطرح سؤالا بسيطا وعميقا في آن واحد: هل يمكن للإنسان أن يجد البهجة في التفاصيل الصغيرة، في لحظة صفاء عابرة، أو في ابتسامة طفل لا يدرك معنى الغد؟ هذه القصة دعوة للعودة إلى البدايات، إلى بساطة العيش، وإلى اكتشاف الفرح في أبسط الأشياء.

أما "ظنون مرضية"، فهي نافذة على صراع داخلي لا يراه أحد. كم من مرة خُدعنا بظنوننا، وكم من مرة صنعنا من الوهم حقيقة تهز كياننا؟ في هذه القصة، حاولت أن أستكشف كيف يمكن للشك أن يتحول إلى مرض، وكيف يصبح الإنسان أسيرا لأفكاره السوداء، عاجزا عن رؤية النور حتى لو كان أمامه

مباشرة. هي قصة عن القلق، عن الهواجس التي تتسلل إلى الروح في لحظات الضعف، وعن ضرورة المواجهة والبحث عن اليقين مهما كان مؤلما.

ثم تأتي قصة "النصر قريب"، لتمنح القارئ جرعة من التفاؤل والإصرار. ليست كل الهزائم نهائية، وليست كل الطرق المسدودة بلا مخرج. في هذه القصة، أردت أن أحتفي بقوة الإرادة، بذلك الصوت الداخلي الذي يهمس لنا في أشد اللحظات ظلمة: "اصبر، فالنصر أقرب مما تتخيل." إنها قصة عن الصبر، عن الثبات في وجه العواصف، وعن الإيمان بأن لكل ليل فجرًا مهما طال.

في "قيلولة صيفية"، يأخذك السرد إلى عالم الذكريات، حيث تتداخل حرارة الصيف مع دفء الحنين. هنا، تتقاطع الأزمنة، وتصبح القيلولة لحظة تأمل في الماضي والحاضر معا. أردت أن أستحضر من خلالها نكهة الأيام القديمة، وأن أبعث في القارئ شعورا بالراحة والطمأنينة، كأنما هو يستلقي تحت شجرة وارفة في ظهيرة صيفية، يترك عقله يحلق بين الذكريات والأحلام.

أما "لا زال الثور الأبيض يؤكل"، فهي قصة رمزية، تحمل في طياتها نقدا اجتماعيا لاذعا، وتطرح تساؤلات عن التضحية، عن الخيانة، وعن الدروس التي لا نتعلمها رغم تكرارها أمام أعيننا. استحضرت في هذه القصة التراث والأسطورة، لأقول إن التاريخ يعيد نفسه، وإن الإنسان كثيرا ما يكرر أخطاءه، حتى وهو يظن أنه قد تعلم منها. إنها دعوة للتأمل في مصائرنا الجمعية، وفي الثمن الذي يدفعه الأبرياء حين يصمت الجميع.

كل قصة في هذا القسم من المجموعة هي بمثابة مرآة تعكس جانبا من جوانب التجربة الإنسانية، وتدعوك، أيها القارئ، إلى أن تتوقف قليلا عند كل لحظة فارقة في حياتك، لتسأل نفسك: ماذا لو اخترت طريقا آخر؟ ماذا

لو استمعت إلى ذلك الصوت الخافت في داخلك؟ هل كنت ستصبح شخصا آخر؟ أم أن كل ما حدث كان لا بد أن يحدث، ليصنع منك ما أنت عليه اليوم؟

تتوالى اللحظات الفارقة في القصص التالية، لتكشف عن جوانب جديدة من التجربة الإنسانية: لحظات الظلام والضياع في "لحظات في الظلام"، وأمل الانعتاق في "ليت يفك الوثاق". كل قصة هنا هي محاولة لالتقاط نبض الحياة في أقصى حالاته، بين اليأس والرجاء، بين الحلم والواقع، بين الضعف والقوة. أرجو أن تجد في هذه المشاهد ما يلامس روحك، ويمنحك شجاعة مواجهة لحظاتك الفارقة.

تأتي "ليلة مع مصاصي الدماء" لتكسر رتابة الواقع وتدخلك في أجواء من الغرائبية والتشويق. هنا، تتداخل الحدود بين الحقيقة والخيال، بين الخوف والرغبة في المغامرة. القصة ليست مجرد حكاية رعب، بل استعارة عن مواجهة المخاوف الدفينة، عن تلك الكائنات الرمزية التي تمتص من أرواحنا الطاقة والأمل دون أن ندري. أردت أن أقول إننا جميعا نواجه "مصاصي دماء" من نوع خاص في حياتنا: أشخاصا كانوا أم أفكارً أو عادات تستنزفنا، وأن الشجاعة الحقيقية تكمن في الاعتراف بوجودهم ومواجهتهم بدلا من الهروب أو الإنكار.

ومن ظلال الليل ننتقل إلى مرارة الواقع في "قهوة مرة". هذه القصة، ببساطتها الظاهرة وعمقها الخفي، تتناول لحظات الاستسلام، تلك التي نشعر فيها بثقل الحياة، ومرارة الخيبات، ولكنها أيضا دعوة للصحوة. كم من مرة احتسينا مرارة الواقع، وكم من مرة شعرنا بأن الحياة تزداد قسوة؟ هذه القصة ليست مجرد سرد لموقف عابر، بل هي انعكاس للشعور بالإحباط الذي يمر به كل إنسان في مرحلة ما من حياته. أردت أن أبين كيف

أن هذه اللحظات، رغم مرارتها، يمكن أن تكون نقطة تحول، نقطة انطلاق نحو فهم أعمق للذات وللعالم، وربما نحو قرار بالتغيير. إنها تذكرنا بأن المرارة ليست نهاية المطاف، بل قد تكون مقدمة لحلاوة لاحقة، وأن الاعتراف بالضعف هو أولى خطوات القوة.

أما "عند الامتحان" و"قطعة من جهنم"، فهما قصتان عن المواجهة الحاسمة: الأولى مع الذات، والثانية مع قسوة الظروف. في الأولى، الامتحان ليس اختبارا مدرسيا، بل هو اختبار للحياة نفسها، حيث تُقاس القيم والمبادئ في لحظات الشدة. في الثانية، يجد الإنسان نفسه في مواجهة قاع الألم، حيث يبدو كل شيء مستحيلا، لكن حتى في الجحيم يمكن للإنسان أن يكتشف قدرته على المقاومة، وأن يخلق من الرماد بذرة أمل جديدة.

وفي "رعب"، يتجلى الخوف في أوضح صوره، لكنه ليس خوفا خارجيا فقط، بل هو أيضا صدى للمخاوف الداخلية التي نحملها معنا أينما ذهبنا. القصة تضع القارئ في مواجهة مع ذاته، مع تلك اللحظات التي يضطر فيها للاعتراف بضعفه، أو للبحث عن شجاعة لم يكن يظن أنه يمتلكها.

تتوالى القصص لتصل إلى "أبي لن تبقى وحيدا"، حيث تتجلى أسمى معاني الوفاء والحنين، ثم "رحلة إلى مدينة النسيان"، التي تطرح سؤالا عن معنى الذكرى والنسيان، وهل يمكن للإنسان أن يبدأ من جديد حقا. وفي "أهكذا النومة الأخيرة؟"، "الطريق المسدود" و ""ما بال الزوج تغير؟!"، تتجلى لحظات النهاية والبدايات الجديدة، لحظات الشك واليقين، والبحث المستمر عن مأوى روحي في عالم متغير.

أما "مطاردة حلم غير مكتمل"، فهي قصة عن الإصرار، عن أولئك الذين يرفضون الاستسلام، ويواصلون السعي رغم كل العثرات. وفي "بداية الهدوء

الزائف" و"بذرة أمل"، تكتمل الدائرة: بعد كل عاصفة هناك هدوء، وبعد كل ظلام هناك بذرة صغيرة تنتظر من يسقيها لتكبر وتزهر.

هذه هي "لحظات فارقة": فسيفساء من التجارب والمشاعر، رحلة عبر العتمة والنور، عبر الهزيمة والانتصار، عبر الأسئلة التي لا تنتهي. أرجو أن تجد في هذه القصص ما يلهمك، وما يدفعك للبحث عن لحظاتك الفارقة، وأن تظل هذه المجموعة رفيقة لك في دروب الحياة، تذكرك دوما أن كل لحظة قد تحمل في طياتها بذرة تحول، وأنك دائما قادر على البدء من جديد.

بعد أن طفنا في عوالم متعددة من "لحظات فارقة"، واستكشفنا جوانب مختلفة من النفس البشرية، من القلق والظنون إلى الصمود والبحث عن النور، نصل الآن إلى القصص الختامية التي تكمل نسيج هذه المجموعة، وتترك في وعي القارئ بصمة عميقة، وتدفعه لمواصلة التأمل في رحلته الخاصة.

أما "بداية الهدوء الزائف"، فهي واقع يثير التفكير ويترك القارئ على حافة الترقب. العنوان نفسه يحمل تناقضا جوهريا: هل هذا السكون الذي نعيشه حقيقي؟ أم أنه مجرد فاصل زمني قبل أن تندلع عاصفة جديدة؟ هذه القصة تسلط الضوء على تلك اللحظات الهادئة التي تسبق التحولات الكبرى في حياتنا، وكيف أننا غالبا ما نخطئ في قراءة هذه الإشارات. إنها دعوة للتأهب، للتأمل في طبيعة الانتظار، ولإدراك أن الحياة مليئة بالمفاجآت التي قد تظهر حتى في أكثر اللحظات هدوء. القصة تزرع سؤالا في ذهن القارئ: ماذا يخبئ هذا الهدوء؟ وهل نحن مستعدون لما سيأتي؟

أرغب صادقا، أيها القارئ العزيز، في أن تدرك أن هذه القصص ليست مجرد حكايات تقرأ، بل هي دعوات للتأمل، وللمشاركة في رحلة استكشاف الذات والعالم. كل سطر كتبته كان محملا بإحساس، وكل حدث صورته كان يحمل معنى. آمل أن تجد في هذه الصفحات ما يلامس روحك، وما يدفعك للتفكير، وربما لتغيير طريقة نظرتك للأشياء.

ومع كل قصة نطوي صفحتها في هذه المجموعة، تتجلى لنا أبعاد جديدة من التجربة الإنسانية التي سعيت جاهدا لرسمها بكلماتي. لم تكن هذه القصص مجرد حكايات أرويها، بل كانت محاولات لفك شيفرات الحياة، وفهم تعقيداتها، والبحث عن المعنى في تفاصيلها المتشابكة. أجد نفسي، ككاتب، في حالة استكشاف دائمة، لا تتوقف عند حدود الواقع الملموس، بل تتجاوزه إلى ما وراء الأفق، إلى عوالم الروح والفكر.

وتأتي قصة "بذرة أمل" كالنور الذي يتسلل في نهاية النفق، وكالنسمة التي تعيد للروح انتعاشها بعد طول عناء. لم تكن هذه القصة مجرد إضافة عددية إلى المجموعة، بل هي خلاصة التجربة، وذروة المسار الذي سار فيه أبطال القصص جميعا. في "بذرة أمل"، يتجلى الإيمان العميق بأن الحياة، رغم قسوتها وتقلبها، لا تخلو أبدا من فرصة جديدة، من بداية صغيرة قد تنمو لتملأ الوجود بالمعنى.

تطرح هذه القصة سؤالا جوهريًا: كيف يمكن لإنسان أنهكته الخيبات أن يجد في قلبه مساحة لبذرة جديدة؟ هل يكفي أن نؤمن فقط، أم أن الأمل فعل يحتاج إلى رعاية وصبر وإصرار؟ بين سطور القصة، ستجد أن الأمل ليس مجرد انتظار سلبي، بل هو قرار يومي بأن نواصل السعي، وأن نبحث عن الضوء في العتمة، وأن نمنح أنفسنا فرصة أخرى مهما تعثرت الخطى.

"بذرة أمل" تذكّر القارئ بأن كل نهاية تحمل في طياتها بذرة لبداية أخرى، وأن حتى في أكثر اللحظات ظلمة يمكن أن تنبت زهرة صغيرة، إذا ما وجدَت من يعتني بها. إنها رسالة بأن لا أحد يخرج من جراحه كما دخلها، وأن في داخل كل إنسان قدرة على التجدد، وعلى زرع بذور جديدة في تربة التجربة والمعاناة.

في عالم تسير فيه العيون على خط الواقع، وتنام العقول في حضن المألوف، يحدث أحيانا أن ينقلب المنظور لا الجسد... أن ترى الحياة من زاويا مقلوبة تكشف حقيقة كانت تغفو خلف العادة. "الخفاش" ليست حكاية غرابة أو جنون، بل هي مرآة لانقلاب داخلي، في "الخفاش"، لا نقرأ حكاية شخص، بل نلج إلى شق داخلي من الوجود، حيث يصبح العالم المألوف مرآة مقلوبة تعكس حقيقتنا نحن. تنفتح القصة على زقاق شعبي، مشبع برائحة العيش اليومي، لتقودنا شيئا فشيئا نحو قلب الفلسفة: هل الواقع كما نراه، أم كما نشعر بانقلابه في دواخلنا؟

الشخصية الرئيسية ليست مجرد بطل يرى العالم مقلوبا، بل هو حامل رؤيا، نبي صغير في زمن الازدحام البشري، تعلم من خفاش صغير أن الانتماء ليس للأرض ولا للسماء، بل للحظة المعلقة بينهما. في هذا الانقلاب الإدراكي، تتحرر الحكمة من قوالبها، ويغدو الجنون مرآة للعقل، والظلمة طريقا إلى البصيرة.

القصة دعوة لتقليب زوايا النظر، لا لتعديلها. تهمس بأن للحقيقة وجوها مقلوبة، وللحكمة جناحان لا يتحركان في الضوء، بل في عزلة الداخل.

من خلال "الخفاش"، يتسلل القارئ إلى فضاء يتجاوز الواقع المعاش، ليكتشف – ربما مثله مثل سمير – أن الرؤية المقلوبة ليست خللا، بل فرصة لرؤية العالم كما لا يراه أحد.

بهذه القصة، تختتم "لحظات فارقة" رحلتها، وتترك القارئ مع إحساس بأن الحياة، رغم كل شيء، تستحق أن تعاش، وأن الأمل هو أثمن ما يمكن أن نحمله معنا في مواجهة الغد.

في الختام، أؤكد لك أيها القارئ الكريم، أن كل قصة في هذه المجموعة لم تكتب عبثا. كل منها تحمل في طياتها رسالة، وتطرح سؤالا، وتدعو إلى تأمل عميق في جوانب مختلفة من وجودنا. لقد كانت الكتابة لي رحلة شخصية من الاكتشاف والتعلم، وأرجو أن تكون قراءتك لهذه القصص رحلة مماثلة لك.

آمل أن تكون هذه التوطئة قد قدمت لك مفتاحا لفهم أعمق لما بين يديك، وأن تظل هذه القصص في ذاكرتك، لتلهمك وتثير فيك التساؤلات، وتدفعك نحو البحث عن إجاباتك الخاصة في دروب الحياة.

استيقاظ غريب

كل ساعة كنت أستيقظ فيها كان باب المنزل محكم الاغلاق. وكان كل من في البيت قد ذهبوا، ولست أدري إلى أين. تنقلت من غرفة إلى غرفة فلم أجد أحدا، وظللت أضرب كفا بكف. فكرت في أن أواجه مرآة لعلي أتأكد من بعض شبحي، الأمر الذي وجدت فيه مجازفة: قد أكون بلا جسد وأن البيت الذي كنت محبوسا فيه قد يكون عامرا على عكس ما كنت أرى. غمغمت: "أوه، ليت يطل علي أحدهم." وأضفت في نفسي: "ولكن للمنزل طابق علوي، لم أبحث فيه!" وكلما هممت بالصعود إلى الأعلى، كنت أجد نفسي أقوم من فراشي وكأنني أستيقظ للتو، وأندهش للهدوء الساكن بالمنزل، للباب الموصدة وللغرف الخالية.

قلت جاهرا ومحاولا إزاحة ستار أسود لم يكن موجودا ربما إلا في ذهني: "إنهم يبحثون حتما عني في مكان آخر، وأنا هنا". وصرخت بأعلى صوتي: "الآن لقد أصبحت اللعبة سخيفة، أينكم جميعكم؟" فلم ألق جوابا، ثم أضفت حانقا: " أ أنا الموجود وكل الآخرين غائبون؟!"

كنت على يقين أن ما أعيشه كان حقيقة، فدونت الحدث ووضعت القلم على هامش المكتب. وبعد ذلك، أخذت أقرأ كتابا، ولما تعبت من القراءة، رفعت عيني، فبدا لي سقف الغرفة وكأنه سماء بلون الغروب. استغربت، وقلت: " متى فتحوا هذا السقف؟ " ازداد وجلي لما وجدت كل غرف البيت الفارغة كانت بلا سقف وكلها تعلوها سماء بلون الغروب. أما باب المنزل فكان دائما مغلقا. وتساءلت: " ألم يكن للبيت طابق علوي؟ "

فتحت باب غرفة الرسم، لم تمكن للرسم، بل تحولت إلى حديقة بها أزهار كثيرة لكنها كانت كلها مغلقة. وكل نافذة من النوافذ الثلاثة المغلقة، كان يعكس زجاجها شجيرات تفاح ناضج ولم تعكس وردا على الإطلاق. كانت جميع الأوراق الخضراء على الزجاج تتحدث بلغات غير مفهومة وبصوت خافت. وفي لحظة فُتِحَتْ بابٌ معلقة على الجدار، وكانت يدي فارغة، فصرت أشد على سيف، وعلى السجادة، رأيت ظلي طائرا ضخما، عَبَرَ، من صمت عميق، ومن ظلي، هذيل حمامة. خشب الأبواب من حولي تحول إلى فواقع. " الآن... الآن فهمت، أنا في بداية جنوني." قلت في هدوء. توقف نبض قلبي مدة قصيرة. وشخصت عيني لما رأيت حفرة تحفر من نفسها ويتدفق منها كنز مدفون. فرحت وهببت لألملمه، فلم أستطع لأن بعد لحظة من ذلك قد تلاشى الضوء. والحديقة تحولت إلى ظلام دامس، والسيف الملقى على السجادة عكس شعاعا من أشعة الشمس المتنكرة خلف الزجاج. كان الموت يلوح لي من خلف الزجاج كان بيني وبينه بعض فواقع وستارة شبح. تذكرت أن هذا البيت كان منذ مئات السنين عامرا حسب ما روت لي جدتي. وكان يأتي إليه ضيوف كثر ولد فيه العديد من الناس ومات فيه العديد من الناس، ومرة قد استرقت السمع من عماتي، وفهمت، دون أن أخبر أحدا، أن هذا البيت مالكه جن، وأن بعض الغرف كانت مغلقة وكان يجب عدم فتحها .

الريح كانت تهدر بالخارج، أغمضت عيني برهة وفتحتها فإذا بي معلق على فرع شجرة. صرخت بأعلى صوتي: " أنقذوني... لا أريد أن أموت مشنوقا... افتحوا الأبواب المغلقة ... افتحوا الأبواب المغلقة ... "

القمر خلف النافذة كان كمصباح يشع نورا. ارتشفت جرعة من الماء كان في كوب فوق منضدة بجانب السرير. شعرت بأطرافي تدب فيها حرارة، نهضت

من فراشي على ضوء القمر. فتحت باب الغرفة، فلم تفتح. صحت: "افتحوا الأبواب المغلقة... " ولكن آخر شعاع من ضوء القمر خفت ثم غاب. وأحسست بجسمي تخر قواه فوقعت على الأرض .

أفقت على صوت الطبيب يهمس لي: " استيقظ يا أستاذ!... حان وقت الدواء... كيف نمت الليلة؟"

شبحي عَلَتْهُ فرحة، قلت: "هل نمت كثيرا؟ " ردت ممرضة كانت واقفة بجانب الطبيب: " ست ساعات لم تتحرك فيها..." قلت مستغربا: " لم أتحرك؟!" أضافت: " لكنك كنت تهذي... كنت تصرخ (افتحوا الأبواب المغلقة..) أكثر من مرة، وكنت أهب إليك فأجدك نائما". فقلت كالهامس: " غريب..."

أكان ينبغي ألا أحلم؟!

مثل الأطفال، كم كنت أحلم برحلة بعيدة لا يراودني في هذا الحلم الملائكي حرص البالغين ولا ترددهم. عالم من الانبهار كان يحاصرني وعالم آخر من التماهي كان يدفعني للمجهول وكانا معا يتجاذباني فكنت كأنني أغرق في التأرجح بين برزخين من الأمل والحيرة.

لوقت طويل، كان الليل بالنسبة لي فلكي أشحنه بخواطري وهواجسي، وعلى سواحل المغامرة كنت أراني قد عدت من رحلتي عجوزا حافي القدمين رث الملابس أشعث أغبر والمفارقة الكبرى كنت أعود مزهوا بنفسي باسم الثغر. وكم كنت أجهد نفسي في تذكر تفاصيل الرحلة دون جدوى.

كم كنت مختلفا عن سني ومنفصلا عن طفولتي. تفكيري كثيرا ما كان منشغلا بما وراء المكان وما بعد الزمان، ولا هم كان لي سوى الترجل عن صهوة حياة رتيبة بلا أهمية. كان حلمي المتكرر في قوالب مختلفة رحلة ألتقي فيها بشيء غامض كنت أحسب أنه من سينقذني من إعاقة صغر سني وضعفه ويصلح غايتي ويجعلني أنتشل من براثن العمر سعادتي كطفل يناشد السمو والتوازن. لم تكن لدي لعب، والربابة، اللعبة الصغيرة الوحيدة التي حصلت عليها، تكسرت بيد من كان يكبرني سنا ويعجبه ألا أكون إلا في الهامش. في كل هذه الأحلام التي تبدو خارجة عن كل المقاييس التي تزن قابليتها للتحقيق، كانت نفسي تكبر وتشيخ، وكنت أبدو هشا كقشة بلا حياة.

طارت الطفولة على بساط الترقب لميلاد رحلة حقيقية من رحلاتي التي كنت أعيشها بإبهام في أحلامي. والشباب مر في ترقب مفعم بالحسرة، فالرحلة المرجوة اكتست صبغات طفولية شغوفة، والحلم الواحد المتشكل كان دوما يضيع في أفق ميتافيزيقي من الأحاسيس تارة ينتصب قصيدة مبتورة الأطراف غائرة الأوجاع غريبة الأغراض وتارة أخرى لوحة تغار منها الألوان فيغلفها بياض لا يتعدى عتبات الخيال وتعلق الروح بين شبكات الشتات والأمل الهارب في لا اتجاه.

شاخ طيفي وتغيرت ملامحه والمغامرة الحسية توطدت وجميع حواسي وحدسي وتنبؤاتي، ولا مجالا كان لدي للانفلات من حلم نتئ بناصيتي عضوا كنت أفركه بأناملي لأتذكر شيئا كان ينازعني فيه النسيان. الصمت كان ملاذي ونديمي ونشوتي وعلتي ودوائي. ساد الانزواء في أعماقي وأنا أشارف التقاعد والصرخة التي كانت تصم الآذان عبرة توشحت بها مقلتي ولا سبيل لدي سوى استباق الحلم الذي آمنت به كل خلية بجسمي إلى ضفته الأخرى. كم هو مؤلم اليأس الذي سكن عتمة نفسي وكسر ما حولي من حركات سارت أسيجة نارية من حولي. لقد كبرت وعرفت دائما أن ذاك الحلم كان مكتوبا ومقدرا والنهاية فيه هي نفس البداية بخلفيات زئبقية تغير جلدها باستمرار. غير أني كنت في أواخر أيامي أعود منه طفلا يمسك بيمينه عودا يدير به إطارا معدنيا لعجلة دراجة صغيرة وهو يقلد صوت منبه السيارة. كم لا أزال أتساءل: أنحن من نختار أحلامنا أم هي من صدفة تندس داخل أنسجة أعصابنا لتسوسنا عبيدا ضعاف الإرادة وتسومنا سوء العذاب؟ لكنني قد أكون أنا من اخترت حلمي ووفيت عهده، لهذا فأنا ما زلت أعتقد أن لي في نفسي ستار يعكس جانبا من الوسواس القهري الذي يخفي ميولي للكفاح المستمر من أجل تأطير هذا الحلم القديم الجديد.

تتوالى الأيام والشهور والسنون ولا أسأل عن طريق العودة والخلاص من طفولية نزعة انزوائي والتمسك بنفس الحلم.

كنت أود أن أخبر من كان يزعم بيده علاجي أن حلمي مزيج من عذوبة ومرارة. كنت أود أن أخبره أنه كان أكثر شيء يلهمني في حياتي وأحسبه سيبعث معي. لم أكن أقول شيئا إيمانا مني أن عالمي الطوباوي غرغرة لا متناهية. كنت أومئ فحسب برأسي كل مرة كأنني أوافق على التقيد بتعليماته.

مجرى وجودي كان عبارة عن تيار جارف لحلم أظن أنه ما كان علي أن أحلمه. من عتبة ليلي السرمدي، ها أنا أواصل محاولة تشكيل حلمي/العالم بشطآن دقيقة الروعة كاملة المعنى واضحة الرؤية. لهذا وتفاديا للكسر والتشظي، أبدو مواصلا صمتي جريئا كما عهدته منذ الطفولة وبشجاعة مثيرة وأنا أغلق هذه النافذة واعدا ما حولي من ذهول متسلل أني لن أختار مغادرة الحلم المنشود في رحلة بعيدة لا يساورها شك البالغين ولا تردد اليافعين.

فاس، في: 10 يونيو 2022

صمود أرواح

كان الجو صافيا حيث امتدت السماء بلا حدود، مزينة بملايين النجوم اللامعة التي ترقب الأرض من الأعالي. الهواء كان يمسح بلطف على الوجوه، والرياح الضعيفة تلمس الأشجار بحنان، مما خلق أجواءً هادئة ومريحة تخفف من توتر الحياة اليومية.

كانت المنازل تبدو كمعابد سحرية في هذا الظلام الليلي، حيث بات ينبض الضوء الدافئ من داخلها كمصدر للأمل في تلك اللحظات المظلمة. الشوارع الخالية كانت هادئة، فلا صوت إلا صوت همس الرياح.

كان الناس يعيشون في هذه اللحظات بسلام، مستمتعين بجمال الليل وهدوءه، دون أدنى فكرة عن الكارثة التي كانت تتجه نحوهم بخطوات ثقيلة. لم يكونوا يعلمون أن هذا الهدوء الجميل كان مجرد سكون قبل العاصفة، وأن الأمور ستتغير في لمح البصر.

فجأة، بدأت الأرض تهتزّ بقوة تصاعدية، هزات عنيفة تجعل الأرض ترتجف تحت أقدام الناس، وتجعل السماء ترتعد في ردة فعل طبيعية لما هو قادم. الأرض أخذت تتلاعب بهم كما تلعب العاصفة بأغصان الشجر، فأحسوا بتلك الحركات الخبيثة تتسلل إلى أجسادكم وتتحدى كل مفاهيم الأمان والاستقرار.

صار الناس يصرخون برعب، وكل صرخة كانت تشبه نداء استغاثة في هذا الظلام المرعب:

- "اللهم الطف بنا يا رب، اللهم احمينا !"

- "أبي ... أبي...!"

- "أمي! أنا خائف!"

- "أنقذونا...!"

كانت ترتفع مثل هاته الصرخات إلى عنان السماء، ولكن الأرض كانت تستمر في التمايل تحت أقدام القوم. المنازل كانت تبدو كالسفن في عرض البحر المضطرب، تتمايل بين الأمواج الهائجة، والناس يحاولون البحث عن ركائز ثابتة في هذا البحر المائج.

وسط هذه الفوضى، سُمعت أصوات الجيران يصرخون:

-"أنقذونا!"

- " هل أنت بخير يا أخي؟"

- "اصبر واصمد سننقذك."

كانت مثل هذه الكلمات تتداول بين الناس بينما يحاولون مساعدة بعضهم البعض. كانت الأمهات الناجيات تحملن أطفالهن بين أذرعهن، تبحثن عن مأوى آمن، والآباء الناجون يحملون أثقال الأسر ويحاولون توجيه العائلات نحو مكان آمن.

في اللحظات الصامتة التي تلت الزلزال، كان القوم يتبادلون الحديث بصدمة ورهبة:

- "ماذا حدث؟" سأل أحدهم بعيون ذاهلة.

وكان آخر يجيب بصوت مرتعش:

- "لقد ضربنا زلزال قوي، يجب أن نتحرك، يمكن أن تحدث انهيارات."

بينما شرع الناس يتحركون بسرعة، كانوا يتبادلون التحذيرات، يحاولون مساعدة بعضهم البعض للبحث عن أماكن آمنة، وهم يشددون على أهمية البقاء هادئين:

- "لنبحث عن مكان مفتوح، بعيدا عن المباني والأشجار!" قال أحدهم بصوت حازم.

هكذا، بين الصرخات المستمرة، كانوا يبحثون عن الأمان في هذه اللحظات المروعة، وهم يدركون أن التضامن والمساعدة المتبادلة هما المفتاح للبقاء على قيد الحياة في وجه هذه الكارثة الطبيعية.

أثناء هول المصيبة واستمرار دوي الانهيارات المرعب، تكونت تلقائيا فرق الإنقاذ في المنطقة بسرعة مذهلة، فصار أفرادها يتحركون بين الأنقاض بحذر فائق، وجوههم تعبس من القلق والهم، وكأنهم يحملون أثقال العالم على كتفيهم .

صاح أحد أفراد الفريق، صدى صراخه كان يتداخل مع هدير الزلزال المتواصل:

- "هل تسمعون أحدا؟."

صاح أحد الأعضاء بصوت مليء بالفزع:

- "هناك رجل في الداخل !"

وكلما اندلعت صرخة هزت الأرض من أحد المنازل المنهارة، عم الخوف والأمل قلوب المنقذين. بينما الآخرون تجندوا بحزم وإرادة قوية لرفع

الأنقاض بحذر شديد، كانوا يعملون بروح الفريق الواحد ويبذلون جهدًا جبارًا لضمان سلامة الطفل الذي يرتعش من الخوف والارتجاف.

- "تمسك بيدي، سنخرجك بأمان." قال أحدهم بصوت هادئ ومطمئن، محاولا بكل قوته أن يكون نقطة ثابتة للشيخ المرعوب.

التنسيق كان مثاليا، حيث تعاون الجميع بروح الفريق الواحد، وهم يبذلون قصارى جهدهم لضمان سلامة الناس المحاصرين، يحملون الأمل في قلوبهم ويصرون على أن الحياة ستعود إلى تلك الأماكن المدمرة، بفضل الإرادة والتضامن الإنساني.

بينما كانت الفوضى تتوازى مع الدمار، استأنفت فرق الإنقاذ المكونة من الناجين التدخل بشكل مُنظّم، شرعوا يبحثون عن أشخاص آخرين من بين الأنقاض المتناثرة. كانت هناك صدمة وحزن في عيون الذين يتم انتشالهم، غير أنهم لم يفقدوا الأمل. بل كانوا يبحثون عن الضوء في ذلك الظلام، وسط الموت والخراب.

فجأة، تم رصد صراخ صبي تحت الأنقاض. بجهد المتطوعين تم انتشال الرضيع، كان لا يتجاوز عمره بضعة أشهر، كانت والدته الفقيدة تشد عليه بقوة. صار يبتسم ببراءة للأشخاص الذين كانوا يحومون حوله مكبرين بعيون دامعة مستغربين للمعجزة الربانية. كان بحق علامة على الحياة والأمل في وجه هذه الكارثة، تذكر الناس بأنه حتى في أصعب اللحظات، يمكن أن يشع نور الأمل.

الطلقة ما قبل الأخيرة

مسافة قصيرة كانت تفصلني عن عبور الجسر القديم الواقع بالمدخل الشرقي للمدينة، كنت أحسب الوقت المتبقي لغروب الشمس، فالمكان كان غير آمن. طبيعة خلابة كانت تحيط بالطريق المنعرج الذي يتوسطه الجسر. وعلى الجانب الأيمن كانت تمتد مساحة خضراء شاسعة الأطراف مخصصة للقنص. صفرة الشفق تدلت على الأفق فأخذت أسرع الخطى حتى إذا بقيت خطوة دوني والجسر أفزعتني طلقة قريبة حتى لأني قفزت من مكاني، ولما استدرت وقع بصري الذي خالطته ضبابية غير عادية على جسم غريب لم أسمع له صوت، كان ملقى على الأرض متكوما على نفسه كرزمة منسية جانب الطريق. رغم هلعي العظيم دفعني فضولي للتقرب منه، عله إنسان يحتاج لمساعدة، وبحذر وترقب شديدين تقدمت خطوات قصيرة فتراءى لي الجسم ينزف مادة تشبه اللافا وهو يتضاءل حتى صار بحجم أرنب. تسمرت مكاني لما سمعت صوت طقطقة بندقية على مقربة مني فبقيت لفترة دون حراك ودون عزيمة وكأن الزمن قد توقف، حاولت أن أستدير لاكتشاف ما يجري خلفي، كان نور متعدد الألوان يشع بقوة أرغمني على أن أغمض عيني واضعا بشكل آلي كلتا يدي مفتوحتين على وجهي. هويت خائر القوة عندما سمعت طلقة ثانية. بقيت ممسكا بوجهي جاثيا على ركبتي وجبهتي على الثرى. انقطع تفكيري وشلت حواسي. صرت كتلة ضئيلة أو هكذا كان إحساسي. صامتا حاولت رفع رأسي وبحركة بطيئة ومتمركزة على باقي جسمي وجدت نفسي أرتعد تحت ظل شكل ضخم

مجهول. كنت أرغب في الصراخ أو البكاء أو أي شيء يشجعني على التشبث بالحياة ولم أستطع إلا أني رمقت الأفق قد سقاه الشفق حمرة. بنظرات ملؤها الذهول تمعنت في الجسم الواقع أمامي والذي تحول إلى رغوة قانية والنور الذي أشع بقوة بألوان الطيف صار سورا يطوقني من كل جهة. غامرت بالنهوض ودفعني تهوري إلى التقدم نحو السور بخطى متثاقلة، تساءلت مضطربا: أين الجسر؟ أين الطبيعة التي كانت تحيط به؟ أين أنا؟

ما كان خلف السور أمواج من حمم بعضها يموج في بعض. ساقاي فشلتا على حملي وقد التفتا ببعضهما، فوقعت من جديد والجسم الذي سقط أمامي بعد الطلقة الأولى والذي تحول إلى رغوة قانية شرع في الزحف نحوي وكأنه إخطبوط هيتشكوكي اندفعت أطرافه تتلوى لتلتف حولي. أكان الصراخ سيخرجني من مأزقي؟ أكانت المقاومة ستمنحني فرصة للنجاة؟ كنت واثقا من أني قد انتهيت، ولكن الأمل الذي جعلني أنجح سابقا في تحديات كبيرة رأيته يتجسد بندقية في يميني، وبشكل اعتباطي ضغطت على المكبس فدوت طلقة جعلت الأخطبوط يتراجع. لكني عند الطلقة ما قبل الأخيرة والتي لم تكن من جهتي تحطم السور الذي تحول إلى سيول أخمدت الحمم ثم إلى رمال تملأ المدى، فيما الجسم الأخطبوط استعاد حالته ما بعد الأولى، فصار أرنبا بريا أسمر. اعتلتني فرحة ودب في جسمي حماس لمعرفة نهاية ما يجري غير أن الطلقة الأخيرة التي هزت المكان مجددا من حيث لا أدري أعادت على مرأى ومسمع مني المشهد الأول. أثارني الموقف فاضطربت أكثر من الأول وفكرت في أن أهرب بأقصى سرعة لكني اكتشفت أنني مقيد. من يا ترى على غفلة مني أحكم وثاقي؟ الحفرة التي سقطت فيها وأنا أحاول الفرار أخذت تتسع وتتعمق فغرقت في الظلام وانقطعت أنفاسي وتعطلت جميع حواسي إلا سمعي فقد تحقق من صوت التقاء فكين لتكسير

عظام ربما كانت عظامي. لحسن حظي أني كنت أحمل معي وصية كتبتها في وقت سابق ومما كتبت فيها: ها أنتم تتحسسون برفق حفرتي التي صادفتم، أكرموا رفاتي بالدعاء .

فاس، في: 12/ 07/ 2022

الفرصة

عانت ليلى، السيدة الصغيرة، من حزن لا يوصف بسبب وفاة زوجها الكبير في السن بسبب مرض عضال. كان اسمه علي، وكانا قد تزوجا عندما كانت ليلى في سن صغيرة بسبب تقاليد تسمح بتزويج القاصرات. لكن حياتها الزوجية لم تكن سعيدة، بل كانت مليئة بالصعوبات والمشاكل.

عندما كانت ليلى في الرابعة عشرة من عمرها، رزقت بابنتها الوحيدة، مريم. لم تكن تملك ليلى القدرة المالية الكافية لتوفير الرعاية اللازمة لابنتها بعد وفاة زوجها، فوجدت نفسها تعيش على هامش هذا العالم اللامبالي. مما اضطرها لهجرة القرية بحثا عن سبيل للنجاة.

كل محاولاتها العيش بكرامة في ظروف صعبة مثل التي عاشتها في دور المشغلين باءت بالفشل، لتنتهي بها الأقدار في شوارع المدينة بلا مأوى. أصبح مصدر رزقها التسول. في صراع يومي مع البرد القارس والجوع، كانت تبحث عن لقمة خبز وقليل من الدفء في أزقة المدينة المزدحمة، لكن أبصار المجتمع كانت عنها غافلة إلا عيونا خائنة كانت بها متربصة.

وهي تتسول أصحاب السيارات المتوقفة عند علامات التوقف، غمزت لها عين ماكرة، فزين لها الشيطان، حيث لم تشعر برادع يمنعها من قبول الدعوة فركبت السيارة. وهكذا فتحت لها أبواب عالم الليالي الحمراء. في بداية الأمر، كانت ليلى ترفض فكرة الانخراط في هذا العالم المظلم، لكن الحاجة القاسية دفعتها إلى المجازفة.

دخلت ليلى هذا العالم بقلب مثقل بالأسى. كانت الليالي تمر ببطء، وكل ليلة كانت تواجه الاستغلال بنفسية متذمرة. وبالرغم من تلك الظروف، استمرت ليلى في الحلم بحياة تتوفر فيها سبل الراحة والأمان لابنتها.

تعلمت ليلى كيف تتعامل مع الزبائن بحذر رغم الوضع الصعب الذي كانت تعيشه. فقد كانت تعمل باستمرار لتأمين مستقبل أفضل لمريم.

وفي أحد الأيام، التقت برجل غريب في ليلة باردة. كان يبدو مختلفا عن باقي الزبائن. كانت عيناه تحملان بريقا من الحنان والتفهم. سألها عن حكايتها، وعندما سمعها، لم يحكم عليها كما فعل الآخرون. بدلا من ذلك، عرض لها يد المساعدة قائلا:

. "لدي فرصة لكِ، لن تحتاجين لهذه المهنة." قال الرجل بصوت هادئ.

. "فعل؟ ما هي هذه الفرصة؟" سألت ليلى بحذر، محاولة فحص الرجل الذي يقف أمامها.

. "ما رأييك بأن نتزوج؟!" أجاب الرجل بابتسامة صادقة.

الليل والطفل الذي كنت

كم مرة يحصل هذا في حياتنا، حينما يأتي المساء، نتوه وسط دوامة من ذكريات نواجه فيها وحدنا خليطا من المشاعر، فبالنسبة لي غالبا ما كانت تتجسد الكآبة أريكة، مرغما أرمي عليها جسدي بين مستيقظ ونائم، أحدث نفسي بالإشارات الميمية متحسرا على ما كان وما يكون ومتلهفا لما سيكون. فعلا، الليل منصة المعذبين وشرفة المحرومين وملاذ المبعدين وهو زنزانتي السوداوية. الليل للسبات، غير أنه كان لي سفرا والسفر قطعة من جهنم. الليل والوحدة وهموم الزمن التي لا تنطوي خصوم سلبوني لعمر طويل حرية الحلم وشهوة النوم، حتى حينما أغمض عيني تنط مشاغل اليقظة في رأسي لتخرجني من خدر قد تستحليه حواسي في بعض الأحيان فأجدني أتخبط في مكاني كالممسوس، وكان كل مرة يخيل لي فيها أنني لن أخرج من تلك الحالة سليما.

وجاءت الليلة التي التقمتني الأريكة ذاتها في جوفها واحتلك الظلام حولي حتى لأني لم أستطع تمييز أعضائي من بعضها. كنت من الأرق لا أقوى على فعل أي شيء. حاصرتني الوحدة الجليدية وأحسست أني قطعة ثلج تنهال عليها قطع ثلج أخرى، رغم أنه في نهار ذلك اليوم كانت الشمس حارقة وريح سموم قد حركت غبار البلدة حتى اضطر الناس لزوم بيوتهم والارتكان إلى مراويحهم. لم أكن أسمع صوتا ولا حركة، ربما كان المكان غير غرفتي النائمة في العدم. استسلمت لذلك الهدوء الغريب وانقطعت حبال أفكاري وتيقنت أني خرجت من عالم الأحياء .

وأنا بلا وعي، غارق في اللاشيئية، سطع من بعيد خلف النافذة المشرعة شعاع شرارة حمراء شطرت الفضاء نصفين، النصف الأول أمسى يما ذا أمواج عاتية، والنصف الثاني أمسى سعيرا ذا لهب. وفجأة ورغم هذا المشهد المريب استسلمت لدبيب حياة جرى من جديد في عروقي. وتتالت الذكريات متمادية في الهجوم حتى أني لم أتمكن من حصر اندفاعها، وكأن الذاكرة أصابها نزيف حاد. صارت تعرض صورا لمواقف ما كان لي لأنساها. في البداية، لقطة مقرّبة لي وأنا مختبئ تحت مائدة ببيت الجيران ويد تمسك بقدمي الصغير تجرني منه وسيل من الشتائم تخرسني ولم أكن لأفهم معناها، ولقطة أخرى كنت فيها مستغرقا في تأمل العالم من حولي وأنا تائه في حقول الزيتون وقت القيلولة حتى تعرضت لهجوم مباغت لسرب من النحل. توالت اللقطات والذكريات، تذكرت السقطة التي انشقت لها شفتي العليا وأنا أنزل درجات السلم المؤدي إلى سطح المنزل، تذكرت الكلب الذي كاد أن يفقأ عيني بمخلبه، تذكرت ألعابا سحرية كان يبهر بها عقولنا الصغيرة أستاذ القسم الثاني، تذكرت يوم سرقت ملابسي وأنا أستحم في جدول كان يجري في فضاء حديقة "جنان السبيل"* فعدت إلى المنزل بسروال قصير حافي القدمين، تذكرت أول مرة رأيت فيها البحر والموجة الأولى التي أوقعتني والموجات الصغيرة التي أعقبتها وتعاونت على إغراقي والضحكات التي تعالت قريبا مني وأنا أستنشق الماء المالح والرمل. كل الماضي حل بذهني بكل أشكاله وألوانه حتى غصت قبالتي في برزخ بين اليم والنار وفقدت من فرط التذكر وعيي من جديد .

الطفل الذي كنت غط في النوم ذراعاه مبسوطتان أعلى رأسه، أحسست به يتقلب في فراشه حتى أني استنشقت معه رائحة الخبز المقلي في الزيت

والشاي بالنَّعْنَاع تملأ الغرفة في عقر الدار وأفراد الأسرة يتناولون وجبة السحور، وكدت أسمع وشوشتهم.

أكان ما رأيت جنونا أم يقينا؟ لم أكن أميز، لكن الصيف قد بدأ بموجة حر لا سابقة لها، الشيء الذي عرضني لضربة شمس ربما. لم أستيقظ من ذاك النوم العجيب، غير أني نجوت من الهلوسة الليلية في تلك الأمسية الغريبة. لقد هيئ لي أني ولدت فيها من جديد لكن ميتا متكفنا في وحدة بشعة تحارب من أجل توطيد عهد مع ذكريات متذبذبة بل مبتورة .

أخيرا، لقد نام الطفل الذي كنت دون صداع أو كوابيس، لعلها كانت بوادر تعاف من حياة أليمة.

فاس، في: 2022 /07/17

*** يعتبر جنان السبيل بفاس من أجمل الحدائق التاريخية على المستوى الوطني (المملكة المغربية) .**

الوداع

في أحد المساءات الشتوية الباردة، حيث كان المطر غزير الهطول، والمدينة قد تحولت إلى مشهد ساحر من الأمطار المتساقطة والأضواء الساطعة التي صاحبت تلألأ حبيبات المطر. وقفت ليلى في شرفة شقتها الكئيبة، تراقب مشهد الجو الماطر. ضل وجهها مبتسما برقة، غير أن في عينيها يمكن للمرء أن يلمح لمعة من الحزن الخفي. أمسكت بيديها صورة مبللة بالمطر، صورة لرجل ذي ابتسامة دافئة وعينين تنبعان بالحياة. هذا الرجل هو منير، زوجها ورجل حياتها الذي رحل عنها فجأة وبدون وداع.

وقفت ليلى تنظر إلى الصورة بعينيها اللامعتين اللتين سرعان ما انهمرتا بالدموع، وكأنها تحاول إحياء كل تلك اللحظات الجميلة التي قضتها مع زوجها في مخيلتها. تذكرت كيف كانا يمشيان متشابكي الأيدي تحت الأمطار في الأيام الأولى من تعارفهما والتي سبقت الزفاف بأسابيع قليلة. كانا خلالها يتبادلان النكات والقصص والغناء، كما لو أن المطر يتحول إلى سمفونية حبهما.

لما استقرا في تلك الشقة، تعودا الجلوس في هذه الشرفة أيا كان الجو، في الليالي الصافية وفي غيرها، ليتمتعا بمنظر السماء في هدوء وسكينة، اعتادا أن يتحدثان في غالب الأحيان عن أحلامهما وطموحاتهما المشتركة. كانت تلك اللحظات مثالية وشاعرية، وكأن الزمن يتوقف من أجلهما ليتيح لهما تلك السعادة المنشودة.

غير أن مع مرور الوقت، بدأت الظروف تلقي بظلالها الثقيلة على علاقتهما. تزايدت الضغوطات والتحديات المادية، حيث كانت ليلى تكتشف بالتدريج أنها لن تستطيع تحقيق كل أحلامها بجوار منير الذي تقاعس عن الوفاء بوعوده والعمل على تجسيد طموحاته على أرضية الواقع، كما وعد، بل الأمر من ذلك فقد أصبح يشرب السجائر ويتأخر في بعض الأحيان عن البيت مساء. وهكذا بدأت الخلافات تتعقب حياتهما الهادئة لتحولها يوما بعد يوم لشقاق فظيع. صارا يتبادلان الكلمات الحادة والجارحة، حتى أصبحت تلك الشرفة السابقة مكانا للصمت الرهيب إذا وقف عليها منير تتركها ليلى والعكس.

- "ليلى، هل تتذكرين عندما زرعنا هذه الزهور بأدينا معا وكنا نتسابق على من يسقيها الأول؟" سألها صوت منير في ذهنها، كما لو كان يحدثها مباشرة.

- "نعم، منير، أتذكر ذلك." قالتها بصوت مكسور.

- "كان يجب علينا المحافظة عليها، ألم تري أنها قد يبست وجفت؟ كان يلزمنا أن نكون هنا معا في اللحظات الصعبة."

لم تستطع ليلى سوى أن تمد يدها نحو الصورة بلمسة خفيفة، كأنها تحاول لملمة أجزاء الماضي الجميل الذي ذهب هباء منثورا.

- "منير، أعتذر منك عن كل شيء. لم أكن هنا عندما احتجتني، وأعتذر إن كنت لمتك يوما أنك قد تغيرت. وأعتذر لأنني لم أكن موجودة في لحظة وداعك."

عندئذ، بدأ المطر يزداد غزارة، كأن السماء تشاركها الحزن والألم. اندفعت قطرات المطر كأمواج من الحزن تسقط على قلب ليلى وتنهمر على الصورة المبتلة بين يديها.

في لحظة وداع مؤلمة، بدأت الصورة تشحب أمام عينيها إلى أن تلاشت الألوان والملامح، وتبخرت الذكريات كأنها أحلام مريرة. ثم بقي البرواز فارغا، بلا أي أثر للشخص الذي كان مصورا فيه وكانت تحبه. بينما كانت الصورة تختفي، شعرت ليلى وكأن جزءا منها يغادرها معها .

لم تعد قادرة على البقاء في تلك الشرفة، وبينما المطر يزداد غزارة ويتساقط بلا هوادة، قررت الخروج إلى الشارع وكأنها تتسلق جبلا من الألم.

كان الشارع يغرق في سيل من الماء. المياه صارت تجري في الشوارع بسرعة، كما تجري الذكريات في عقل ليلى، وهي تبحث بين تلك القطرات عن شيء ما، عن حب فقدته ولم تعد تستطيع استرجاعه.

مع انعكاس أشعة مشوشة لمصباح قديم في الشارع، لاحظت ليلى شخصا يمشي ببطء تحت المطر. ثم تمايل هذا الشخص وسقط على الأرض. سارعت ليلى إليه ربما يحتاج لإسعاف، وكان قلبها ينبض بشدة. وجدت الرجل مصابا. قامت بسحب الرجل الضعيف إلى مكان آمن محاولة إسعافه. كانت تجهد طاقتها لإنقاذه، وهو يحاول بصعوبة أن يعبر عن امتنانه بعبارات ضعيفة. لاحظت ليلى نظرات غريبة في عينيه. ثم بادرها بالقول بصوت متقطع: "أنت... أنت تشبهين... أنت تشبهينها كثيرا."

دققت النظر في وجه الرجل المصاب ووجدت نفسها تنظر إلى نسخة مشابهة لصورة منير التي كانت لا زالت تحملها معها. كان الرجل يشبهه حتى في التفاصيل الصغيرة.

- "منير؟ ... هل أنت منير؟" همست ليلى بصوت يرتجف.

ابتسم الرجل بصعوبة وقال بنبرة هادئة:

- "أنا هنا... لأقول وداعا."

وفي لحظة مفاجئة، اندلعت صورة محمد في يدها بلمعة ضوء، ثم اختفت مع الرياح والمطر. ذابت كل الشكوك والألم، وتحول كل شيء إلى لحظة لا تصدق. كان منير هنا، وكان وداعه هو ما انتظرت.

سمعت ليلى ضوضاء سيارات الإسعاف ورأت أضواءها تتسلل عبر خيوط الأمطار. لكن الرجل كان قد أغلق عينيه بالفعل، وابتسم بسلام قبل أن يسلم أنفاسه الأخيرة.

أخذت الأمطار تكف عن التساقط تدريجياً، ولكن دموع ليلى لم تتوقف. ظلت واقفة هناك وحيدة، وهمها الوحيد هو الذكريات التي ستظل تحاكيها وترافقها حتى آخر يوم في حياتها.

عندما يكون الفراق مرا، وعندما تأتي الوداعات بأشكال غير متوقعة، يبقى الألم ينغص قلب الإنسان ويزيده حزنا. في تلك اللحظة المأساوية، وجدت ليلى نفسها في قلب عاصفة من المشاعر المتضاربة، بين الحزن والصدمة والألم.

في الصباح التالي للوداع القاسي، استيقظت ليلى على ضوء خافت للشمس المتسلل من خلال نافذتها المغلقة بإحكام. تساءلت وهي بالكاد تفتح عينيها بفركهما بأسفل كفيها: "ألم يكن كل ما حدث ليلة أمس مجرد خيال؟ هذا الرجل الذي ظهر واختفى، هل كان فعلا منيرا زوجها؟"

غادرت فراشها نحو المطبخ لتحضير فنجان من القهوة، كانت يداها ترتجفان. ذاك اللقاء غير المتوقع بذاك الرجل الذي يشبه منيرا بشكل لا يصدق، أصبح يعصف بذهنها. هل كان ذلك مجرد صدفة؟ هل كان منير يحاول التواصل معها من العالم الآخر؟

بينما كانت تحاول تجاوز تلك الهلوسة، سمعت صوت جرس الباب يرن. خطواتها كانت ثقيلة وهي تتجه نحو الباب. عندما فتحته، صعقت برؤية رجل غريب يقف أمامها. خصلات شعر أبيض تدلت في مقدمة رأسه وعينياه تلمعان بشكل مألوف لديها فقد ذكرها ذاك البريق في عيني الرجل ببريق عيني منير.

- "مرحبا ليلى، هل تذكرينني؟" قال الرجل بصوت هادئ.

هزت ليلى رأسها بدهشة، لكنها لم تكن قادرة على إيجاد الكلمات. كان الرجل يبتسم إليها بلطف، وكانت ملامح وجهه تشبه تلك التي رأتها في الصورة المبتلة.

- "أنا نفس الشخص الذي لمستِ يده بلمستك الدافئة الحانية أمس."

سكت الرجل قليلا، في حين كانت ليلى مشدوهة الحواس، ثم أضاف بنبرة خافتة.

- "أنا منير، زوجك."

لم تصدق ليلى ما سمعته. كان هذا أمرً مستحيلا. كيف يمكن أن يكون هو؟ ولكن الرجل أمامها كان يتحدث بطريقة مألوفة، وكأنه يعرف كل شيء عنها وعن حياتها.

- "لقد أُعطيت لي فرصة أخيرة للوداع وإظهار مدى حبي لك قبل أن أرحل بشكل نهائي. كانت اللحظات معك جميلة، ولكن الظروف والأخطاء قادتنا إلى فراق مؤلم. كم تمنيت لو تتاح لنا فرصة للبدء من جديد، ولكن لم يسعفني الحظ، جئت لأودعك الوداع الأخير."

عينا ليلى كانت تنهمر بالدموع. لم تكن تستطيع تصديق ما يحدث أمامها. اندلعت في نوبة بكاء، من السعادة والألم والحزن في آن واحد. حطت رأسها على صدره بعد أن حضنها، وشعرت بلمسة لطيفة على شعرها كخدر جميل نقلها فوق السحاب.

- "شكرا لك على كل شيء، ليلى. سأظل أحبك دائما."

بهذه الكلمات الرنانة، ابتعد الرجل، وبينما هو يبتعد كانت ليلى تراقبه وهي تمسح دموعها وجسمها يتراخى. اختفت الصورة الضبابية للرجل وقد كانت قد وقعت على الأرض، لتستعيد بعد ذلك وعيها تدريجيا. كان الرجل قد اختفى، ولكنه ترك ليلى بقلب ممتلئ بالحزن والأسئلة والذكريات. لحظات ويرن الجرس من جديد. قامت ليلى لترى من بالباب، فتحته بتحفظ شديد .

- "كيف أصبحت حبيبتي؟ عذرا للتأخر، تعرفين المواصلات يا ابنتي. كان بالي مشغولا عليك... هل تناولت دواءك بانتظام؟ أعرفك عندما أغيب عنك تهملين نفسك ... أعدك بنيتي ألا أغيب عنك مجددا ... ما بيدي حيلة، أبوك يحتاج لمن يرعاه هو الآخر ... الحمد لله أنه اقتنع أخيرا بضرورة المجيء للعيش معنا هنا ببيتك، فأنا لا أستطيع تقسيم نفسي نصفين."

ابتسمت ليلى ودموع تجري على خدها الشاحب، وهمست متلعثمة:

- يسرني ذلك أمي، كم أنا محتاجة إليك."

عانقت أمها وانخرطت وإياها في بكاء ونحيب. رن الجرس وهما لا زالتا خلف الباب، فتحت الأم، فظهر زوجها يحمل حقيبة سفر صغيرة، هبت ليلى بدون شعور تعانقه وهي ترتجف.

- "مهلا بنيتي، دعيني آخذ نفسي الأول ..." قال بصوت متقطع، ثم أردف مازحا: " ألم تسمعي آخر نكتة؟"

بهجة العيش بلا ثمن

في بستان على الطريق، بعد أن ركنت سيارتي على مدخله، سمحت لنفسي بنزهة قصيرة كانت غايتي منها الاستمتاع بهذه الطبيعة الجميلة. لكني لما توغلت فيه وجدتني أمد يدي لأغصان قطوفها دانية ولم أسأل نفسي هل هناك من حارس لهذه الجنينية الساحرة. كيف كان بابها من دون بواب؟ قلت أخيرا محدثا نفسي: "لماذا توقفت وقد كنت على عجلة من أمري؟" واصلت جولتي بين الأغراس متباطئ الخطى، وفجأة تبدى لي على بعد مئة وخمسين قدما رجل بملابس فلاح يحمل فأسا على كتفه يشده بقبضة يمينه، يضع على رأسه عمامة صفراء. كان بوجه طويل وأنف قائم وعينين سوداوين وشنب رمادي كث. تقدم نحوي حافي القديمين ودون أن يسألني ماذا أفعل هنا، صاح بي: " مرحى بالزائر.. كيف حالك؟" تعجبت وأنا أجيب: "بخير ... وأنت؟"

أشار لي أن أجلس حينما انحنى وجلس على ساقيه وقد جمعهما إلى الخلف، جلست بدوري مفترشا التراب. بادرني بالسؤال، وكنت أنتظر أن يعاتبني على هذا الاقتحام الهمجي من جهتي، لكنه قال: " من أي جهة أنت؟" أجبته أني من الشرق وعائلتي أقامت بالشمال من أجل التجارة. وقبل أن يخوض في أي موضوع آخر، اعتذرت عن اقتحامي بستانه وأخبرته أني قد أذنت لنفسي وقطفت من خيراته دون وعي تام مني. فانفجر ضاحكا، ثم صدمني بهذا الكلام: " ومن قال لك أني صاحب البستان؟ " وأخذ يحكي لي حكاية غريبة، ما كان لي إلا أن أصدقها. بدأ كلامه قائلا:" في يوم من الأيام دخلت هذا

البستان زائرا تماما كما فعلت غير أني كنت راجلا وقد أخذ مني العياء والجوع والعطش أي مأخذ وقد نفذ زادي وشرابي. ولما رأيت خيرات هذه الأرض لم أقاوم رغبتي فأكلت وشربت حتى ذهب جوعي وعطشي. ثم تمددت على الأرض تحت ظل شجيرة ورأيت أني بحضرة رجل متلفف بالبياض يناولني مسحة وفأسا ويقول لي: ' البستان لك أيها الغريب. اخدمه فهو لك.' واختفى بسرعة البرق، ولما استيقظت وجدت هذا الفأس وتلك المسحة على حافة الساقية تلك." سكت لحظة ثم أضاف: " منذ ذلك الوقت وأنا أعمل بستانيا فما رأيت صاحبا له ولا حل بهذا المكان زائر، وكلما نضجت غلة اختفت إلا بعض ما أحتاجه لمعيشتي. وفي ليلة وأنا متمدد على جنبي، تمثل أمامي ذاك الشخص بنفس بياضه ونوره وشكرني على العناية بالبستان وخيرني في البقاء أو الرحيل، وبما أني لم تكن لي عائلة ولا مسؤولية ولا شغل، حيث كانت هجرتي من أجل البحث عن مورد رزق، اخترت البقاء وعملت بجد وضاعفت الجهود وجددت الأغراس ونقشت عليها وسقيت وشذبت الأغصان، ودائما كلما نضجت الثمار تختفي ولم أسأل أين تختفي ولم أشك يوما تعبا ولا ضنكا. وها أنت كما ترى."

اندهشت لما كان يروي وما كان لي أن أشك في صدق ما كان يحكي. ثم أضاف: " هذه الليلة رأيت في منامي أن ذاك الشخص ينبئني بمجيء زائر والأوصاف التي أعطاني مطابقة عليك تماما أيها الزائر وأوصاني بحسن استقبالك."

لما سكت عن الكلام لم أجد أنا بدوري لسانا أعبر به ولا أي كلام أقوله. فرأيته يقرب مني الفأس وأخذ ينعت لي ما في البستان من نبات وبما أني كنت على دراية لا بأس بها بالبستنة من باب الهواية فقط فهمت ما كان يقول وشعرت كأنه كان يوصيني خيرا. ثم نهض وقال لي بنبرة حزينة: " أنا يا سيدي

كبرت وقد لا أقدر على أداء هذه المهمة كما أديتها من قبل، وأشك في أن أؤديها لأني أظن أن ساعتي قد اقتربت، والأمر لك."

طأطأت رأسي لحزن الرجل، وبما أني كنت بلا أمل، مثقلا بهموم حياة مدنية قاسية، خاليا من أي شغل بعد تقاعدي، وجدتها فرصة مواتية للمكوث هنا وحسبتها جنتي قد عجل بها ربي لي، تناولت الفأس بعد أن شمرت على ساعدي وخلعت حذائي وطويت ثوب سروالي إلى ركبتي، وصرت أخدم البستان تحت إشراف ذلك الغريب وعندما أخذ مني التعب مأخذه، تمددت على التراب من أجل أخذ قسط من الراحة، فرأيت في منامي ذلك الشخص المتلفف في بياضه يرحب بي. لما أفقت والعرق يتصبب مني فزعت لما وجدت الغريب قد اختفى. نهضت من مكاني وطفت بالبستان مهرولا أبحث وأنادي: "أين أنت أيها الرجل؟" فلم أجده ولم يأتني جواب. استسلمت لوحدتي، وبعد أن حل الظلام هجعت إلى جدع شجرة، ورأيت أن الرجلان معا يوصياني خيرا بإرثي الجديد. وعند الصباح الباكر، توجهت إلى سيارتي فجلبت هاتفي ومذكرتي. أعلنت عن بيع سيارتي وكتبت وصيتي وأرسلتها مع أول حافلة تمر من ذاك الطريق، في يومين كنت قد بعت السيارة وتخلصت من هاتفي وعدت إلى بستاني أخدمه بلا كلل ولا نصب ولا شكاة .

أنا الآن أنتظر زائرا جديدا يبحث عن بهجة العيش بلا ثمن فأسلمه إرثه وأرحل في هدوء وسكينة. فالبستان لمن يخدمه.

فاس، في: 2022/11/12

ظنون مرضية

بالخارج، كان الجو باردا جدا. وحتى بداخل غرفتي، كنت أحس بأطرافي تتجمد. قمت بنية تحضير فنجان من القهوة، فتعثرت ووقعت على وجهي، ففقدت وعيي لمدة طويلة. بعد استفاقتي، لاحظت أثر نزيفي على منامتي الصوفية، نهضت متراخيا من أثر السقطة، أبحث عن كحول صيدلي لأنظف به جرحي. وأنا أبحث في رفوف الصيدلية المعلقة بالممر المؤدي إلى المطبخ، وقعت علبة حبوب أقراص، تناولتها فاندهشت لكونها تحتوي على حبوب مضادة لإدمان التدخين. نسيت جرحي للمفاجأة، وصرت أتساءل: "من أتى بهذه العلبة؟ لماذا هي هنا إن كان لا أحدا بالبيت سبق وأن كان مدمنا على التدخين؟" بدأت تحوم بي ظنون: " أمعقول أن تكون زوجتي هي من كانت مدمنة على التدخين ولم يكن بعلمي؟" شرعت هذه الظنون تستبد بي وتأخذني إلى ما هو أبعد: "إن كانت زوجتي مدمنة تدخين وهي التي كانت تتناول هذا الدواء ليساعدها على الإقلاع عن التدخين، لماذا لم أعلم بذلك؟ بل ماذا كانت تخفي عني من أسرار؟ "

الشك صار يعصرني، هرولت متمايلا إلى غرفة المكتب، فتحت أدراج المكتب وحرت كيف سأبحث في المكتبة، وعن أي شيء سأبحث هنا أو هناك. " نعم، قلت، أبحث عن دليل خيانتها لي، هكذا إذن. فأنا رجل شرقي، وحسب قناعتي، إن كانت الزوجة تدخن سرا، فهي قد ..." ثم تداركت نفسي وقلت: "أستغفر الله..." ومع ذلك لم أكف عن البحث. كنت ألوم نفسي بشدة: "كيف كنت مغفلا ولم ألحظ عليها دليل سلوك

ناشز." صرت أنفض الكتب نفضا كتابا كتابا. وقد أمضيت في ذلك ساعات طوالا، خلالها لم أرد على أي مكالمة هاتفية ولم أفكر في جرحي. حرارة جسمي ارتفعت، كما قد علا نبضي. لما أفرغت ولم أجد شيئا بغرفة المكتب، انصرفت قاصدا غرفة النوم وأنا أرتعد، وبعض دوار يجعل من تنقلي أمرا صعبا، غير أني قاومت حتى وصلت إلى الدولاب ففتحت بابه بقوة وصرت أنثر ما فيه من ثياب، ووسط هذياني لم أكن أتحقق مما يقع منها. فتحت جهة ملابس زوجتي، وربما كانت لأول مرة في حياتي. أخذت أنفض ما فيها من ملابس وأرجعها مجاهدا نفسي إلى مكانها. وفي لحظة، وقع بصري على علبة فضية، حسب معرفتي، كانت خاصة بمجوهرات الزوجة. هممت بكسرها لكني تراجعت لبرهة، ودون شعور اندفعت وكسرتها أخيرا. تفاجأت بكونها لا تضم مجوهرات كثيرة: سلسلة ذهبية رقيقة وبعض خواتم وأوراق. أخذ جسمي يرشح عرقا باردا، وأنا أمسحه بطرف كم منامتي وأناملي، ارتفعت بشدة درجة حرارتي. وأنا أتحسس أوراق العلبة، انهار جسمي وهويت على ركبتي عندما تأكدت أنها كانت رسائل قديمة. صرخت في أعماقي: "كم كنت مغفلا طوال هذه السنين!"

كان بودي أن أصرخ بملء صوتي وأحطم جميع ما في البيت، أو أوقد النار فيه وأهرع إلى أي مكان قصي في الدنيا لا يعرفني فيه أحد. لكني تريثت ليس من نفسي بل لإحساسي بالغثيان. تثاقل جسمي وخرت قواي ولم أعد أقوى على تحريك أطرافي. برحت مكاني كحقيبة سفر مدة ليست بالقصيرة. مرت بذهني ذكريات من الماضي وبالخصوص من سنوات زواجي الأولى، وبعدها لم أعد أرى إلا السواد وكأني كنت أرى فلما تلفزيا ثم انقطع البث فجأة. وأنا كذلك إذ بيد ترجني وصوت يصيح بي: "ماذا بك؟ ما حل بك في غيابي؟" رفعت عيني، وجدتها زوجتي التي كانت تهزني كي أفيق. أردت أن أثور في

وجهها لكني تراجعت وانصعت لها وهي تساعدني على النهوض، فأقعدتني على أريكة جانب السرير، أسرعت إلى الصيدلية المنزلية وأحضرت الكحول ونظفت جرحي، أبذلت منامتي وكل هذا وأنا صامت وكأني ابتلعت لساني، فيما ظلت هي تسأل عما جرى لي حتى قمت بكل تلك الفوضى، تشجعت أخيرا وصرخت: " قولي أنت ماذا تخفين عني، ومنذ متى وأنت تدخنين؟" انفجرت هي ضاحكة مما زادني حنقا، ثم أردفت قائلة بهدوء: "أنا لم أدخن في حياتي..." قاطعتها منتفضا: " وعلبة الحبوب المساعدة على الاقلاع عن التدخين لم هي؟" أجابتني بنفس الهدوء: " لك أنت..." وهبت إلى الدولاب وأتت بألبوم الصور، وقالت: " أنظر ألست أنت؟" كنت أبدو في صورة ماسكا سيجارة وأدخن... استغربت وغيرت الموضوع قائلا: "والرسائل، لمن هي؟" ضحكت وأجابتني بنفس الهدوء: " لك أنت، أنت الذي أرسلتها لي وأنت في المهجر، انظر أليس هذا توقيعك؟ لا زلت أحتفظ برسائلك كل هذا العمر فهي كل مجوهراتي."

أحسست بحرج، وأردت أن أقول شيئا آخر لكن هربت مني الكلمات، فيما أضافت هي: "أنت بحاجة إلى الراحة يا زوجي، إنك تعاني من فقدان الذاكرة وكما قال لنا الدكتور المعالج حالتك هي حالة النسيان الشامل العابر وسببها انتشار تلف دماغي. فقط عليك بالراحة وستصير بأحسن حال."

فاس، في: 2022/12/17

النصر قريب

في قرية صغيرة بغزة، عاشت عائلة الحسين عبر عقود من الزمن. ولد الجد في عام 1948، في زمن اندلعت فيه النكبة، حيث فقد الفلسطينيون أراضيهم وممتلكاتهم. ترعرع الجد على حكايات الأرض التي فقدت، وحلم بيوم سيعودون فيه إليها يشمون هواءها ويعانقون تربتها.

تعاقبت الأجيال، واستمرت العائلة في معاناة الحصار الإسرائيلي والمعاناة اليومية. نشأ الأطفال وسط صوت القذائف وصعوبة الوصول إلى الخدمات الأساسية مثل المياه والكهرباء. ورغم ذلك، نما فيهم حب الوطن ورغبة جياشة في الحرية.

في عام 2014، شهدت غزة هجوما إسرائيليا مروعا، أحدث دمارا هائلا وخسائر بشرية فادحة. دُمرت المنازل والبنى التحتية، وتأثر الأطفال والشباب الذين فقدوا أهاليهم وممتلكاتهم بشكل كبير. غير أن عائلة الحسين نجت بأعجوبة من هول الهجوم، ولكن ما كان لأفرادها أن ينسوا مشاهد الدمار والمأساة التي عاينوها. بدأ الأبناء يعملون بجد لإعادة بناء منازلهم ومحاولة استعادة حياتهم المدمرة.

وبالرغم من المعاناة اليومية والألم الذي كان يسببه الاحتلال، لم تفقد عائلة الحسين الأمل. بل استمر الجميع في الصمود والعمل، راهنين على يوم سيشهد فيه أحفاد الجد تحقيق حلمه بالعودة إلى أرضهم المفقودة بل وطرد المحتلين بقوة الإيمان بالعدالة الإلهية، فهم أصحاب حق، والله ينصر من ينصره.

استمرت الحياة والصمود في وجه الصعاب. حيث ظلوا يحلمون ويصرون على النضال من أجل حريتهم وعودتهم إلى أرضهم المحتلة.

في أحد الأمسيات الدافئة، اجتمعت العائلة حول الشمعة الوحيدة في منزلهم المتواضع. نظر الجميع إلى الصورة القديمة للجد، حاملين في قلوبهم ذكريات وأماني مستعادة. في لحظة من التأمل العميق، قال الأب بصوت حزين:

- "سنعود يوما إلى الأرض التي أحلم بها كل هذه السنين."

وأضافت الأم بابتسامة متفائلة:

- "نحن مستمرون في النضال، فالأمل آخر شيء يجب أن نفقده."

عند الصباح، وكان يوم سبت، اليوم الذي سجله التاريخ بمداد من حمم ونار، يوم "طوفان الأقصى" المبارك، استفاقت العائلة وكل الغزاويين على خبر كان مدعاة للفخار والاعتزاز، خبر إطلاق كتائب المقاومة عملية عسكرية واسعة ضد إسرائيل، وذلك ردا على الاعتداءات المستمرة المعمرة، باستعمال طائرات شراعية تحمل مقاتلين تخترق الأجواء الإسرائيلية على الحدود مع غزة، وتقتحم السياج الفاصل بالدراجات النارية والسيارات ذات الدفع الرباعي، ومن المقاومين الأبطال الأشاوس من سار على الأقدام .

إن حال إسرائيل في السنوات الأخيرة لم يكن يختلف كثيرا عن حال قوم نوح فيما يتعلق بالظلم والطغيان والجبروت، وقد جادلوا بالباطل في محاولة يائسة لإلغاء الحقيقة. لم يتورعوا عن ارتكاب أعمال محرمة، بما في ذلك قتل النساء والأطفال وتهجير السكان من منازلهم بالقوة. كانوا يسعون لاستعادة السيطرة والهيمنة بشكل ماكر بعد تحالفهم مع شركائهم في الغرب. ولكن في النهاية، جاءت لهم عاصفة غير متوقعة جاءهم الطوفان،

"طوفان الأقصى" العظيم، الذي حمل البشرى للمقهورين من طغيان المتجبرين الصهاينة، مثل عائلة الحسين. كان الطوفان مفتاح استرجاع الهيبة، ولا عجب فإنها جاءت بتوفيق من الله لتعجل بهزيمة إسرائيل التي لم يكن أحد ليراهن على أنها ستهزم يوما ما. وباتت أسطورة "الجيش الذي لا يقهر" من الماضي، فقبتهم الحديدية لم تصمد أمام أخفاف المقاومين.

فرحت عائلة الحسين بهذا النبأ وشفى غليلهم، واندفع الأحفاد إيمانا منهم بالمبدأ والقضية، حيث التحق منهم ثلاثة فتيان وفتاتين بالمقاومين، وبقي الأب والأم يترقبان عودتهم إلى أن حط على رأسيهما صاروخ غاشم أطلقته أيد جبانة لكن لا تعرف الرحمة.

فاس، في: 15 - 10 - 2023

قيلولة صيفية

حرارة مفرطة أرغمت العم إدريس للخلود إلى الراحة بعد تناول وجبة الغذاء. فكم تحلو القيلولة في مثل ذاك الهجير .

- "لا توقظيني إلا عند أذان العصر يا حليمة!" صرخ بحشرجة قوية.

- "حاضر... بعد أن أحضر الشاي بالنعناع ."

ردت زوجته حليمة التي تدري جيدا مدى سلطويته الحادة ومزاجيته المتقلبة. دامت عشرتهما أكثر من ثلاثين سنة. أنجبا أربعة أبناء: ولدان وبنتان .

غادرت حليمة باب الغرفة أنى ردت عليه دون تكليف نفسها الدخول عليه وهو مستلق على ظهره واضعا رجلا على رجل. حلت بذهنها ذكرى أول يوم حصل بينهما سوء تفاهم فحطم مرآة الدولاب وما وُضع عليه من أواني للزينة. كان سبب الخناق إشاعة صدقتها حليمة لفرط غيرتها عليه وخوفها من أن يستبدلها بزوجة غيرها أو يدخل عليها ضرة كما تجري العادة في كفرهم هذا خصوصا عندما يكون الموسم الفلاحي متميزا. تذكرت أن لولا تدخل خالها الأكبر المرحوم الحاج الحسين لعلم الله وحده ما كان قد سيحل بها. كان إدريس يخشى الحاج كثيرا، فهو عمه وصاحب فضل عليه، هو من أشركه أموره الفلاحية وهو الذي اشترى له الجرار العصري فصار أول

شخص يمتلكه في القبيلة آنذاك وكان يقوده بزهو كبير، زهو أورثه الكبرياء والغطرسة.

لما أذن المؤذن لصلاة العصر، جاءت حليمة عند باب الغرفة توقظه برفق كالمعتاد. فاستفاق الرجل وزمجر:

- "أين الشاي يا امرأة؟" وعلى شفتيه بقايا تثاءب ثقيل.

- "إنه على مائدة البهو. لا تدعه يبرد!"

- "وأنت، لا تدعي القطط تنط عليه حتى أنهض!"

قال هذا وعاد ليغمض عينيه وكأن الحرارة المفرطة لم تترك له مجالا للنهوض .

العم إدريس لا يصلي وكلما طرح موضوع الصلاة كان يبدي نيته في إقامتها عندما يكبر ويحج. وكان الجميع يخفي عنه رغبته القوية في السخرية من فكرته هاته، لكن لا أحد كان يجرؤ نظرا لضيق نفسه. كثير من أمثاله هم تاركو الصلاة في هذه القرية على اختلاف شرائحهم، لكن الغريب في الأمر أن مواعيدهم كلها كانوا يضبطونها على أوقات الصلاة. إلا أنهم يسمعون الآذان ولا يحز في نفوس أغلبيتهم ترك الفريضة. أما حليمة، فرغم عدم استفادتها من تلقي أي تعليم مدرسي أو تعليم غير نظامي فهي تحفظ بعض السور وبعض الأذكار وتحافظ على أداء الصلوات المكتوبة وتحرص على صلاة الجمعة في المسجد المتواضع بالكفر. وآخر شجار حصل بينهما كان بسبب موضوع الصلاة، فعن حسن نيتها وسلامة طويتها قالت مبتدئة حوارها:

- "متى تنوي الصلاة يا سيد إدريس وقد هرمت وأصبحت جدا؟"

قاطعها بفظاظة الرجل الشرقي الذي يثور عندما يحس بإهانة ما أو يشكك أحدهم في قوة شبابه:

- "من قال لك أني قد كبرت يا امرأة؟ " ملوحا بكلتي يديه مهددا.

- "إنك تمني النفس يا رجل. إن الموت ليست بطول عمر أو ذهاب عافية." أضافت حليمة بثبات الداعية المتمكن.

- "هذا الأمر لا يعنيك. اغربي عن وجهي وأحضري الشاي وإياك أن لا تضبطي حلاوته."

قال هذا وأدار وجهه متهربا من مواصلة الجدال. هي بدورها انصرفت كي لا يؤول الموقف إلى ما لا يحمد عقباه. تذكرت هذا وكثيرا من المواقف المشابهة التي كانت تنتهي بامتثالها لنواهيه. صلت عصرها وألحت في الدعاء لأبنائها. ثم عادت لتوقظ العم إدريس.

- "العصر فات يا إدريس، لا نوم بعد العصر... انهض لتشرب الشاي... سيبرد."

لم يجب الرجل هذه المرة إلا بشخير اهتزت له أركان الغرفة، فاضطرت حليمة لمغادرة باب الغرفة والنزول إلى الأسفل لاستقبال الخالة زينب، طباخة الكفر. فهي قد حضرت في موعدها لتحدد معها ترتيبات الوليمة التي تنوي التكرم بها على العائلة وبعض أهالي الكفر بمناسبة جمع المحصول كما يجري كل نهاية موسم زراعي.

- "تفضلي يا زينب، اجلسي، كيف حالك؟"

- "الحمد لله يا حاجة حليمة، سيدي إدريس كيف حاله، وبقية الأولاد؟"

- "الحمد لله يا أختي زينب."

استأنفتا الحديث واتفقتا معا على ما يجب تحديده بخصوص الإكرامية (زمنها، كم عدد الموائد، نوع الأطعمة والذبيحة، عدد طيور الدجاج وماعدا هذا مما يلزم لتكون الإكرامية في المستوى الذي يليق بمقام السيد إدريس). صمتتا قليلا ثم استأنفتا الحديث حول ابنتيها اللتين تعيشان بعيدا عن الكفر بأميال كثيرة:

- " متى ستحضر السيدة فوزية والسيدة الصغيرة سعاد؟ " سألت زينب.

- "بعد يومين إن شاء الله. " أجابت حليمة وهي تتنهد متحسرة لبعد ابنتيها عنها.

- "اشربي الشاي يا أختي. " أضافت مبتسمة.

- "مشكورة يا سيدتي حليمة. مضطرة أنا للانصراف، ثمة أمور يتوجب علي معالجتها."

تعلم زينب جيدا أن حليمة لا تحب الحديث الطويل واغتياب الناس والخوض في سيرهم بل تنهر من يحاول هذا بحضرتها. على عكس زوجها الذي يسهب في النيل من أعراض الناس سواء تعلق الأمر بأعدائه أو بأشخاص يشتكى منهم بين يديه. يطلق العنان للسانه السليط فينعتهم بأسوإ النعوت لاعنا شاتما. مرة تجرأت حليمة في مقاطعته وهو يغتاب شخصا ما وحذرته من مغبة ما يقترفه من ذنوب، قائلة له:

- "خف الله يا رجل، ودعك من أعراض الغائبين."

- "ومن أعطاك أنت الصلاحية في الدفاع عنه؟ أهو من بقية أهلك؟" رد عليها وهو يهم بضربها محتقنا، معتبرا أن هذا فضول منها.

لم تتمتم إلا بكلمات التأسف وهي تفر منه خوفا على نفسها من طول يده قاصدة الغرفة المقابلة فأحكمت إقفال بابها عليها.

عادت السيدة، بعد انصراف الطباخة زينب، حليمة لبهو الدار الفسيح، واتخذت متكئا. توالت الذكريات بذهنها كشريط سينمائي، فاستسلمت لها جوارحها. تارة تبتسم لذكرى جميلة وتارة تتنهد وتقطب لذكرى أخرى بائسة كتلك التي غادر فيها ابنها حسن ملتحقا بالجندية. بكت طويلا حينها وانتحبت كأنها تفقده للأبد. كان أعز أبنائها الأربعة وأشدهم حلما وأبرهم بوالديه. بذكراه فاضت عيناها ولم تستطع إمساك نفسها. تذكرت يوم أن أُرجع إليها ذات فجر محمولا في صندوق خشبي وقد سلبه الحمام منها. هذا المشهد لا زال لصيقا بذاكرتها والحدث كان سببا في إصابتها بداء السكري اللعين .

- "رحمة الله عليك يا أعز الناس ."

قالت وهي تكبح تنهيدتها لأنها تذكرت الرجل الذي لم ينهض بعد والشاي لا محالة قد برد بل اسود لونه. فنادته من الأسفل:

- "إدريس ... ألا تنهض...؟ أنا ذاهبة إلى منزل أحمد وسأعود بعد المغرب، إن شئت لحقت بي لنشرب القهوة هناك."

أحمد بكرها، متفرغ لأشغال البادية ومساعدة أبيه. هو الوحيد الذي ناب عنه في استعمال الجرار والحاصدة الدراسة. متزوج بسميرة ابنة عمته وله طفل في شهره الأول. سكناه بجوار سكنى والديه وهو عبارة عن منزل صغير ولكنه أنيق جدا.

لم يرد إدريس على حليمة بشيء يفيد أنه مستيقظ، غير أنها وضعت عليها لحافا وانصرفت ببطء وهي تتعوذ وتبسمل. حسن الصغير يملأ صدرها

غبطة وسرورا، فهي لا تدع يوما يفوتها دون أخذه بحضنها ساعات طويلة. ولجت مسكن ابنها فسلمت وهي تردد:

- "أين سيدكم؟ أ لازال لا ينادي على جدته؟"

ابتسم الابن وزوجته لمزاحها هذا الرقيق. وردت الكنة:

- "في حياتك يا خالتي ."

سأل الابن عن والده فطمأنته عليه ثم علقت :

- "أمره غريب! طلب أن أوقظه عند أذان العصر وها المغرب على وشك ولما يفق بعد."

- "أظنها الحرارة قد غالبته فاستحلى الاضطجاع وقتا إضافيا آخر."

صمتت الأم قليلا ثم سألت ابنها عن أمر الإكرامية وما يتعلق بتنظيمها، فأجابها بما يشرح صدرها:

- "لا تحملي هما يا أمي، كل شيء على ما يرام."

- "والمدعوون كلهم على علم؟"

- "أجل يا أمي، لا تقلقي أنت."

- "ترى أأخبر أبوك ابن عائشة؟ لا أقبل أن يلومنا أحد."

ابن عائشة قريب للسيدة حليمة فهو الوحيد في القرية كلها الذي لا يستحيي من مجابهة العم إدريس حينما لا يكون على صواب، ربما لكونه يعادله سنا ومالا.

- "الحقيقة أمي لا أعلم، ألم تسألي أنت أبي؟" رد الابن جاحظا عينيه.

- "والله لا أذكر جيدا."

فكرت مليا وحركت رأسها مؤكدة سهوها، ثم أمرت أحمد ليذهب إلى المنزل ويسأل أباه.

- "أوقظ أباك وسله إن كان ما زال يرغب في الشاي وتأكد بنفسك من الأمر. هيا يا ابني."

هب أحمد مسرعا، فتح باب المنزل وصعد إلى غرفة أبيه. دق الباب مستأذنا بالدخول:

- "أبي ألا زلت نائما؟"

اقتحم الغرفة في ثبات وهدوء كي لا يرعب الرجل الغاص في قيلولته وهو يقول:

- "أبي انهض! أبي!"

رجه بلطف وعاود رجه مرة ثانية فثالثة ورفع صوته أكثر فأكثر مرددا:

- "أبي هلا أفقت ... أبي أفق ... انهض أبي ..."

لكن العم إدريس الذي فاتته صلاة العصر كما فاتته صلاة العمر ستفوته الإكرامية ولن تلتقي عيناه عيني ابن عائشة كما كان يأمل.

لا زال الثور الأبيض يؤكل

لم يكن الأستاذ كمال لديه بد من النوم المبكر. كونه يدرس في ناحية قروية نائية، الأمر الذي جعل الرتابة تكون موجزا لحياته، بل عنوانه الشخصي وهويته. اِلْتَحف بلحاف تنبعث منه رائحة الموت، فكم عانق هذا اللحاف في ليالي بائسة رغم المرح الذي كان يصطنعه مع زملائه لمراوغة عقارب الساعة. هذه الليلة اضطر للبقاء بمفرده في مسكنه هذا، وهو عبارة عن بيت ترابي شبيه بجحر ضيق، وقد مل القراءة وسماع المذياع الذي كان لا يذيع شيئا جديدا مفيدا أو مسليا .

حاول أن يغمض عينيه ويستسلم لبساط الريح يأتيه النوم في صفته عسى أن يأخذه في رحلة شيقة ممتعة. تظاهر بالنعاس وابتكر أحلاما وشرائط حيوات كان يفضل لو كانت حياته واحدة منها.

لم تدم نشوته الخيالية مدة طويلة إذ فجأة أحس بحركة في جحره الترابي هذا. أطرق سمعه لعله يدرك ما يقع بجواره. الحركة لم تهمد فتمكن منه الخوف. وما زاد رعبه تأججا بزوغ ضوء ضعيف تسلل منه شعاع تحت اللحاف الذي كان يغطي رأسه.

أُزِيح عنه اللحاف أخيرا وأُرغِم على الجلوس وإذا به يرى ثلاثة أشخاص قد التفوا حوله، الأول تمثل أسدا، الثاني ثورا أسود والثالث ثورا أحمر. خيل إليه أنه هو الثور الأبيض الذي أُكِل سابقا. حاول أن يستغل جمود الأسد لإقناع الآخرين أن مصيرهما لن يخالف مصيره إذ لم يتحدا معه. صرف الأسْوَد نظره هازئا وكأن الأمر قد قُطِع، فلا بديل عن تطبيق ما جاؤوا من أجله.

تودد للأحمر أن يصغي إليه فصرف هو الآخر عنه وجهه إلى جهة الأسد الذي كان يصمم على إبقاء عينيه مغمضتين. فصنع مثله الأستاذ كمال وأبقى على عينيه مغمضتين. كان حينها يبرهن لنفسه أنه لا زال نائما وأن ما يراه في تلك اللحظة مجرد حلم وأنه قد أثرت عليه تلك المسافة التي قطعها في نزهة حول الدواوير، النزهة التي رأى فيها قطعانا منتشرة من الأبقار ترعى وقد راقه منظرها. اعترف أنه كان مخطئا حينها لما سمح لفكرة تنط بذهنه مفادها أن الأبقار أسعد منه.

مد الثور الأحمر رجله فركله ولم يصرخ كمال ولم يحاول أن يفتح عينيه وقال في نفسه: "لا أنا في حلم وعلى عيني أن تبقيا مغمضتين مهما كان."

توالت الركلات منهما معا، الأسود والأحمر، واستغرب الأستاذ كمال للثورين لم يخورا إلى حد تلك اللحظة، فخار بدلا منهما كأنه يستغيث بهما ويوقظ فيهما الهمم والشهامة وهنا استيقظ السبع ولم يزأر بل خار مثل خوره وكأنه يلمزه. شرع الثلاثة يقهقهون بصوت متحشرج مريب، كأنه صوت من بات يشرب النرجيلة، الشيء الذي زاد كمالا روعا على روعه. ثم اختفى الضوء أخيرا وعاد اللحاف إلى جسم كمال الذي أرغم على التمدد ليلفه اللحاف حد الاختناق، فأحس أنه يحمل على محمل وأن لا مفر من موت هو فيه. حاول تحريك سبابته للتشهد فاستعصى عليه الأمر وأيقن أنه قد مات وأن لحمه سينهش وعادت إليه صورة البقرات التي كانت ترعى مطمئنة البال وقال في نفسه: "أجل إن الأبقار أفضل مني حظا، والشياه والماعز أيضا."

ظل يردد هذه العبارة وجسمه يُنْهَشُ حتى النخاع في حفرة هاوية جدا.

ما كان لكمال أن يعود للفصل في الصباح الموالي إلا شبحا حتى إن تلاميذه لم يكونوا يحسون بوجوده رغم زعقه وتوبيخه وسخطه ووعيده، بل كانوا

طوال الوقت في هرج ومرج لا يبالون بشيء، وتمنى لو فجأة يأتي زائر يعيد الوضع إلى إطاره الطبيعي. غير أن في الساحة المترامية الأطراف للمدرسة، بالغت شياه هي الأخرى في الثغاء وهي لا تكف عن الحركة الثورية، محتفلة بطريقتها الخاصة. من خلف الضباب، ظهر رجل يرتدي ثيابا سوداء، يحمل في يده قوسا قديما وسهما واحدا. دون قول كلمة واحدة، اقترب من الشياه وأطلق سهما باتجاهها. توقفت في الحال متحولة إلى جرذان، ثم تسارعت في الاختباء في جحور هنا وهناك، فيما استقر السهم في صدر الأستاذ كمال. وهو يخر ببطء، كان يرى حلم الترقية وتصحيح الوضعية والوعود بنظام محفز وعادل يتبخر أمام عينيه قبل أن يغشاهما سواد.

لحظات في الظلام

في زمن لا تمكث فيه الأخبار والأحداث الصاخبة في مكان واحد، حيث تجلس الفوضى على عرش العالم، وترقص الشبكات المجهولة بما يروج فيها من أنباء الأخطار والمغامرات ومنها ما هو تمثيل ينفق عليه أموال طائلة وتخصص له دعايات صارخة.

كانت السماء مظلمة في مدينة هادئة، عندما خرج جمال للتنزه، وفي نيته أن يتمشى قليلا في الهواء الطلق، لكنه وصل دون أن يدري إلى مكان لم يكن في حسبانه. وجد نفسه في لحظة في أزقة ضيقة معبدة بالحصى، حيث تتداخل المباني القديمة والمتهالكة ومنها المهجورة بشكل مريب. الأضواء الضئيلة كانت تلعب ألعابها اللامتناهية على واجهات تلك المباني، وتخلق أشكالا هندسية مرعبة تنعكس على الأشجار القريبة. همس الرياح التي كانت تحمل معها صوتا غريبا صار يعلو حول جمال. لكن هذا المحب للمغامرة حد الهوس استأنف تجواله في المكان الخالي من المدينة. وهو يستنشق هواء الليل البارد ويستمتع بالهدوء والسكينة النادرين في هذا الزمن والمكان المثاليين للتفكير والتأمل، غير أنه لم يكن يدرك أن مغامرته الليلية ستأخذه إلى عالم مظلم ومشبوه.

فجأة، لاحظ جمال بناية مهجورة منتصبة أمامه بكل سكون. كيف لم ينتبه لوجودها بهذا المكان من قبل؟ ذاك ما تبادر إلى ذهنه. كانت البناية تبدو كمأوى للأشباح، حيث النوافذ المكسورة والجدران المتصدعة، والأبواب المحطمة. الجزء الأكثر إثارة كان الباب الرئيسي الذي بدا مفتوحا على

مصراعيه، وكأنه يدعو إلى الدخول دون حرج. تقدم جمال نحو البناية، وهو يشعر بالقلق ينتابه. لم يكن يعرف ما ينتظره داخل هذا المكان المشبوه، لكن فضوله ورغبته في اكتشاف الغموض دفعاه للمضي قدما. دخل البناية بحذر، والظلال السوداء صارت تتجول حوله وتلتهم الأشياء بعيدا عن الضوء الضعيف المتسرب من فتحات النوافذ. مر صوت تصفير هادئ في الفضاء وأصوات أخرى غريبة صارت تتردد بين أعمدة المبنى.

وفي لحظة، أغلقت الأبواب بقوة، ليجد جمال نفسه محتجزا داخل ظلام كثيف. تصاعدت حالة من الرعب بداخله، وأحس بقلبه وقد ارتفع إلى حنجرته.

- "مرحبا بالغريب في ظلامنا العميق؟" صرخ صوت مريب.

وظلت تلك الكلمات تتردد في الأروقة تخالطها قهقهة هيستيرية ويخترق صداها أذني جمال مثل سكين حاد. أخذت الأصوات تتداخل وكأنها تأتي من كل اتجاه. اشتُعِل مصباح يدوي في وجه جمال الذي وضع يديه على وجهه. من تراه كان متربصا به في هذا المكان المهجور؟

تسمر جمال في مكانه جامد الأطراف، وكأن أنفاسه قد تقطعت ودورته الدموية قد توقفت. رغم أنه كان خبير فنون القتال بل بطل فيها، إلا أن دهاءه تعطل في تلك اللحظة التي وجهت له لكمة قوية أوقعته على الأرض. تشوشت رؤية جمال، وأحس بنفسه وهو يرتطم بالأرض. قبل أن يتمكن من الوقوف، شعر بأيد تمسك بذراعيه بقوة وتجره خارج البناية. كانت عيناه معصوبتين وكانت يداه مكبلتين، لم يكن بإمكانه الدفاع عن نفسه.

سُحِبَ جمال بقوة ودفع إلى داخل سيارة. قام الغرباء بإغلاق الأبواب وسارعوا بالهروب. شعر بالعجز والفزع، لكنه لم يستسلم، حاول أن يفعل شيئا ولكنه لم يقو على غير الصراخ .

فجأة أصبح الظلام المخيف يتحول إلى ضوء مشع، وأصوات ضحكات وتصفيق تملأ المكان. أوقِدَ المصباح وتوقفت شاشة كبيرة على صورة لتصوير مشهد سينمائي. ظهر جمال وهو يمسك بجهاز التحكم عن بُعد، قد قام تاركا أريكته، مبادرا بإغلاق التلفاز ومغادرا الغرفة وهو يتأوه لحاجته الملحة للنوم.

ليت يفك الوثاق

كنت أقف تحت أغصان شجرة بلوط بنية تعانق السماء في كبرياء شامخ، بعدما تمشيت على ضفة نهر القرية عصرا وكان في عزمي أن أعود أدراجي قبل المغرب بلحظات، وبشكل غير منتظر، بدت لي السماء تعرض سحابات متفرقة، والنهر يتغير لونه للرمادي. شعرت بحزن يسري في نفسي، كما لو أن الطبيعة تتوقف عن اللحظة الهادئة لترويض قلبي.

لكن وبسرعة، تحول المنظر المثير إلى لوحة كئيبة. أحاطت بي من كل جانب موجات ضباب مظلمة للغاية، كأنها أذرع ممدودة للشياطين المنتظرة. كنت أشعر بالحيرة والهلع وكأن الزمن نفسه يذوب كما تذوب البوظة بين الأصابع.

بحركة متغطرسة مني، حاولت تجاوز هذا الضباب المظلم، ولكنني تفاجأت بحاجز صلب كالصخرة، وبحركة إيقاعية غريبة، اندفعت بجسدي واقعا بقوة على الأرض. أعشاش خضراء صارت صفراء، كأنها قد أخذت على عاتقها وحشة الخريف. أشواكها الحادة احتضنتني بلا رحمة، وصرخة قوية انبعثت من صدري تحت وطأة الألم.

قمت بمحاولة شجاعة للنهوض والخروج من هذا المأزق المريع، غير أني وجدت نفسي مكبلا ومعلقا في الهواء، كما لو أن الجاذبية قد عجزت عن أن تعمل بهذا المكان الغريب.

تمادت إلى سمعي جلبة طيور تصرخ وتتراقص في السماء، غربان سود جائعة تناثرت كظلال مرعبة حيث انبثقت أصواتها كصرخات من عالم الظلام. تبذذ الضباب وكان الظلام قد حل بقتامته، طيور العقبان هي التي كانت تحوم وتضرب بأجنحتها المترهلة، كما لو أنها ترقص مع أرواح الليل. وأنا معلق، دارت في ذهني تساؤلات لا تنتهي: ما الذي يجري هنا؟ هل أنا أحلم؟ أم أنّ هذه اللحظة الغريبة هي جزء من واقع جديد تماما؟ وما هذه الجيوش المظلمة من العقبان؟ ما الذي جنيته لأعاقب بمثل هذا عذاب؟

بينما تدور هذه الأفكار في عقلي، كأنها مفتاح لكشف سر غامض ينتظر على الجانب الآخر من الواقع الملتوي، النهر الذي كنت أتأمله كلما سنحت لي الفرصة بذلك وأبوح له بهمومي كلما همني أمر، تحول إلى حمم تزفر، كأنها فم عفريت مارد ضائع يبتلع الجمال ويتنهد بآلام الأرض. أصوات رهيبة وشديدة الامتدادات كانت تثير حولي ذبذبات تشعرني بأن الأرض تتحرك من تلقاء نفسها. زلزال قوي يضرب قبل الأرض الجسد والعقل معا، ولم أتمكن من تحديد مصدر هذا الضجيج المرعب. صرت أسمع على مقربة مني أصوات أنين لكائنات غير مرئية، كأنها أرواح تائهة تندب مصيرها. تدريجيا، صار صدى متنافر يتصاعد في الهواء الحارق، يغزو المكان برعبه ويملأ الفضاء بتشويشه. كان وكأنه تأوه العالم بأسره تحت ثقل هذه الكارثة المدمرة. تمنيت الخلاص، وكان الفرار من هذا الكابوس يبدو كمنقذ يُنتشلني أنا المحاصر داخل دائرة الرعب هاته. قلت في نفسي بصوت مختنق بالهمسات: "الموت راحة لي من هذا الكابوس."

فجأة، هبت ريح عاتية كالجحيم، وبرقت سماء تشتعل كما لو أنها تسعى لإبصار الأرض بشكل أكثر دقة. وأرعدت السماء بصوت يشبه صراخ الأرواح الملعونة، كأنها تبكي على أمر قد فعلته. ثم نزل الغيث المبارك بغزارة، طرد

العقبان وأطفأ الحمم الهائجة، وأنبت الربيع بألوانه المشرقة. فاستعاد النهر رونقه الساحر وجرى شفافا سلسبيلا، كأنه يغسل الألم والشرور بمياهه العذبة. تمنيت لو يفك وثاقي لأرتوي من مائه النمير، لكني ظللت معلقا بلا حول مني ولا قوة، مأسورا في مشهد تجاوز كل معاني الكوابيس.

ما كان لي إلا أن أنتظر الفرج، لكن الزمن كان يمر ببطء مرير. روحي الحزينة تأرجحت ما بين الأمل واليأس، والحسرة ترهقها لتتجرع ألوان الشقاء والشجن. تذكرت كل المصائب التي حلت بي كالجلاد المستبد، والخيارات الخاطئة التي جرفتني إلى الهاوية، وكيف غيرت الحظوظ المؤلمة وجهة حياتي. اشتعل الندم في قلبي كنيران لهبها الندم والألم، وشعرت برغبة غامرة في ترديد نشيج البكاء.

قلت يائسا وسط زخات المطر الدافئة وصوت الرعد البعيد: "كم هو جميل أن أموت إذن، لأنجو من هذا اليأس الذي أصبح يلتصق بجلدي، وهذا الفكر المظلم الذي يستنزف كل دفقة من دمائي."

عادت النوارس لرقصها على إيقاع الرياح، والعصافير عادت إلى أعشاشها لتنخرط في سمفونية من الزقزقة البهيجة، والحفيف انغمس في غناء راقص مع أوراق أشجاره الظليلة، والخرير اللطيف للنهر العذب المنساب انتعش مجددا في سكينة مع نسيم هادئ يعبق بعطر الأمل، والفراشات حامت على الزهور سعيدة مبتهجة ثم وقفت على رحيقها ساجدة كأنها تصلي صلاتها اليومية في خشوع وخنوع .

ومع ذلك، بينما الطبيعة تعيش حياتها برونقها، لم أتحرر من قيودي وحزني الخانق. ما زالت روحي تغرق في بحر من الألم، لم تجد طريقا للخروج منه ولم تجد من يساعدها على الخلاص. الشعور بالوحدة تكاثر، وبدأ الزمن

يتلاشى في ذاكرتي. هيئ لي أني أنا الوحيد على هذه الأرض وأن الزمن أصبح لاغيا لا تأثير له على هذه الحياة. كانت الحسرة تنخر أعماقي حتى اندلعت نيران الغضب. فصرخت صرخة ارتفع صوتها كالثوران البركاني، تتحدى السماء والأرض، ثم استمرت صرختي في التعالي حتى تمزق الهواء. وأنا أصرخ بملء ما تبقى لي من قوة كنت أتأرجح باندفاع إلى أن تلاشى الحبل الذي كان يشدني ووقعت على الأرض. قمت بسرعة أتحسس ناصيتي وأشد على كتفي وأنا أتأمل المكان من حولي. فتمتمت لائما نفسي: "مالي تركت السرير ونمت على هذه الكنبة اللعينة؟ !"

في الحديقة المشبعة بالهواء المنعش، التي تطل عليها غرفتي، سمعت أصوات كراوين ساحرة. داعبت وجهي نسمات قدمت من النهر القريب، تعيد الأحلام الأنيقة إلى خيالي فصار يهمي شعرا يتغنى للحياة وبالحياة .

فاس، في: 2022/11/13

ليلة مع مصاصي الدماء

أحيانا يأخذنا الفضول إلى جحور وكهوف المجهول وإلى ما فوق الطبيعي والمتقبل. مرة، وأنا أتنقل بين شتى المواقع الالكترونية، وقعت بالصدفة على موضوع مصاصي الدماء، فتتبعت قراءته. من خلاله علمت أن هذه الكائنات فيها من الحقيقة ما قد أثبت عبر التاريخ. ولكني استغربت هذا الأمر بل كذبته، بدافع أن صاحب المقال لم يدرج المراجع التي اعتمدها في كتابة هذا الموضوع. لم أكتف بالتكذيب والاستغراب ونسيان ما قرأت بل حاولت التأكد من صحة المعلومات رغم أني كنت واثقا تمام الوثوق بأن العلم لم يتوصل بعد إلى حل هذا اللغز المبهم. واصلت بحثي عما يثبت وجود مصاصي الدماء أو ما ينفي ذلك لكني لم أستقر على رأي مقنع .

كان برأيي أن مصاصي الدماء ظاهرة ظلت لاصقة بالأساطير والخرافات، وبأدهان البسطاء من شعوب العالم على مر العصور، غير أن حسب ما قرأت الأمر كان يزيد على ذلك .

استأنفت ابحاري عبر مواقع عدة دون بوصلة، حتى تهت في زحامها فوجدت نفسي أشاهد مشاهدا من فيلم "دراكولا" الشهير. أوقفت الشريط مغادرا الموقع الذي يعرضه. ثم عدت إلى نفسي، وقد خلصت إلى أن فكرة وجود مصاصي الدماء حقيقة متصلة بحالات مرضية، إلا أنه ما كان للإنسان أن يخلد بشرب دماء ضحيته ولا أن يغير شكله ويتحول إلى هيئة أخرى، كل هذا مضاد لطبيعة الإنسان. أغلقت حاسوبي، ونزعت نظارتي وآويت إلى فراشي بعد أن فات موعد نومي. أطفأت المصباح وجذبت غطائي وحاولت

إغماض عيني فما طاوعتاني. حلت بخيالي مواقف تنقض فيها هذه الكائنات الميتافيزيقية، حسب ما كنت أتصور، على ضحاياها وتشرب دماءها بدافع المتعة فحسب. وكل موقف تخيلته كانت أحداثه تدور بالليل وفي أماكن خالية ومهجورة أو في المقابر .

هجرني النوم ودب في قلبي خوف مجهول. حاولت المقاومة لصرف القلق عن نفسي بإشعال هاتفي المحمول. وجدت صديقا لي قد أرسل لي مقطعا عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فتحته عله يبعد عني وساوسي الغامضة. غير أن الفيديو كان عبارة عن مشهد مازح ينتهي بصورة لدراكولا مكشرا على أنيابه الفظيعة وهو ينقض على فريسته المخفية. انخضضت انخضاضا في مرقدي وقفزت جافلا. ألقيت بالمحمول جانبا في سخط. كان لا يزال قلبي ينبض بقوة، زاد خوفي المبهم وصرت أرتعد رغما عني. غطيت رأسي باللحاف رغم حرارة الجو وأغمضت عيني من جديد واستسلمت لخدر عميق .

ربما أحسست بالاختناق، وما إن نزعت اللحاف عن وجهي حتى أحسست بشيء يغرس أنيابه في رقبتي، صرخت من الألم ومن الهلع، قفزت في الظلام بعيدا عن فراشي، وصرت أخبط في الغرفة كالعشواء فلم أكن أعي ما الذي حل بي وبما في الغرفة من أثاث، فمن الذعر قد نسيت باب غرفتي أين كان اتجاهه ونسيت كذلك مكان مقطع الكهرباء. ظللت أقفز في الظلام من مكان لمكان وأنا أصرخ إلى أن أحسست بقدمي تطأ شيئا أملس فتبلل بذلك أخمصها. حاولت أن أتمالك نفسي فسندت ظهري على الحائط فاشتعل الضوء حيث قد لمست بذلك دون إرادتي مقطع الكهرباء. رفعت قدمي ببطء، كان الحيوان قد سحق تحتها ودماءه صارت تسيح منه. زاد رعبي لما تحققت أنه كان خفاشا. لطمت وجهي سائلا باندهاش: "أواه! من أين أتى هذا المخلوق؟!" مرعوبا فتحت باب غرفتي وأوقدت جميع مصابيح المنزل،

فوجدت نافذة صالة الضيوف مشرعة وهي تطل على حديقة بيت لم يعد مسكونا منذ عقود. سكن روعي لبرهة ثم توجهت لخزانة الأدوية المعلقة بممر قرب مدخل الشقة، تناولت مضادا للتسمم ومسحت مكان الخدوش بكحول طبي وتوجهت لغرفتي وما إن اقتربت منها حتى أحسست بمن يدفعني من الخلف وأقع على الأرض وإذا بأنياب تنغرز مرة أخرى بقفاي وبين صراخي وإغمائي كان قد فتح الباب وبصعوبة شديدة فتحت عيني، كانت أمي تمسك بيدي وتضع يمينها على جبهتي، قالت لما رأتني أفتح عيني:

"قد نبهتك من أن تكثر من أكل الفاصوليا والصلصة الحارة والبطاطس المقلية بالليل، فهذا يفسد النوم بالكوابيس والأحلام الرهيبة."

فاس، في: 2022/12/06

قهوة مرة

وضع على رأسه الأشعث قبعته الشاحبة الزرقة بفعل أشعة الشمس وطول الاستعمال. تردد أولا في ارتداء 'الجاكيت' البرتقالية المرقطة بألوان عدة لكن سرعان ما ارتداها دون تكليف نفسه عناء البحث عن غيرها لعلمه الشديد بعدم توفره على أفضل منها. التقط نظارته الطبية وعلبة لفافات تبغ رديئة وانصرف قاصدا مقهى الحي المتواضع وفي نفسه امتعاض كبير من هذه العادة المقيتة التي لم يكن بوسعه آنذاك أن يقلع عنها. فأن يتردد على مقاه فاخرة وأماكن جميلة ووثيرة كانت رغبته الدفينة وهو يرجئها إلى حين يتيسر الحال وتنجلي غمامة الحظ العاثر.

على امتداد الزقاق المؤدي إلى الشارع الرئيسي بالحي لم يفكر بشيء، لكنه على بعد بضع خطوات من مقهى الأصدقاء توقف قليلا حيث دارت بذهنه فكرة التمرد على هذا الروتين بتحويل اتجاهه إلى العكس. بخفة ورشاقة تابع خطواته إلى الأمام تاركا خلفه مقهاه المعتاد مطأطئ الرأس وعيناه تتأملان مشيته الغريبة وحذاءه الذي أهمل تلميعه منذ مدة يجهلها. فكر بشيء أهم: أن يشرب قهوته في مكان ما مريح لا يعرفه فيه أحد. لهذا تعمد أن يستأنف سيره بعيدا. لم يقو على مقاومة رغبته في إشعال سيجارة طويلا، فقرر الولوج إلى مقهى لم يكن موجودا من قبل في هذه الزاوية من الشارع. فضل أن يأخذ مكانه بجانب الحاجز الزجاجي الذي يتيح رؤية عامة للشارع. ألقى نظرة خاطفة على فضاء المقهى الجديد بحثا عن النادل الذي تماطل في المجيء إليه ليسأله ماذا يتناول. أدهشه أسلوبه الجاف لكنه لم يكترث للأمر

وطلب فنجان قهوة من غير سكر. تعجب من نفسه إذ قرر لأول مرة أن تكون قهوته مرة. أخذ مكانه وأوقد سيجارته وشرع يشربها بشكل يوحي بأنه لم يشربها منذ أمد طويل. أحضر النادل القهوة فوضعها على المنضدة بحركة بعثت في نفسه شعورا أنه زبون غير مرغوب فيه. هو بدوره لم يلتفت إليه لما نفث الدخان وتنهد بعمق ثم ارتشف رشفة أولى من قهوته المرة .

- "يا لطعم هذه القهوة المحروقة!" قال بامتعاض وقد تقلصت عضلات وجهه الذي لا دم عليه إطلاقا .

وجه نظرة إلى الشارع وحدق في المارة متسائلا باستغراب:

- "لم يمشي الناس ببطء شديد هكذا؟ هل هم في عطلة؟"

لم يعد يعير اهتماما بالزمن نظرا لفراغه. فهو قد ينسى تماما ما الشهر وما اليوم. دفعت به كلمة (عطلة) إلى متاهات الخيال. غير أن صوت الموسيقى الصاخبة التي تقدمها 'إف إم' أخرجته من خياله فأخذ من سيجارته نفسا آخر أعمق وارتشف رشفة من فنجانه، ثم واصل التحديق بالشارع. كان المدار عبارة عن نافورة قد غيروا هندستها منذ شهور لكن لم يسبق له أن شاهدها من قبل في شكلها الجديد. تأملها مليا ولم يقاوم خياله الذي جعله يراها منصة كبيرة عليها مكبرات صوت ومنبر، قد نصبت خصيصا لمن له ما يعبر عنه ويهتف به كما هي العادة في بلاد أجنبية حُكيَ له عنها.

- "ماذا لو كان هذا حقيقة بهذا البلد؟" قال في صمت محركا رأسه يمنة ويسرة.

طار به الخيال على وجه السرعة، فوجد نفسه قد توسط المنصة بكل هدوء وسكينة، تناول الميكروفون بيمينه، وبيسراه أخرج ورقة من جيب سرواله

الخلفي، عدل من وضع النظارة وحيى الناس القلائل الذين تحوموا حوله. تلعثم في البداية قائلا:

- "أيـ..ها ... النا...س. أيها الناس، إن الحق حق ومهما يُعتم عليه سيبقى ساطعا نوره جليا والباطل باطل ولو وضعت عليه كل مساحيق الدنيا."

ضحك الناس وتعجبوا لمطلع الخطبة. التمس منهم الهدوء بالإشارة، ثم أضاف:

- "لا عجبا إن طفح الكيل وبلغ السيل الزبى أن نقول مرة آه، ليس عارا أن ننتقد الواقع قبل أن تحل بنا لعنة حيث لا تجدي: 'وا أسفاه'!"

تواصل الضحك وهاج الحشد سخرية، لكن واصل الاحتجاج وشدد من لهجته:

- "أيها الناس ليس لنا في بلاد الله من عدو إلا النفس فحاسبوها، وليس لنا من نافع إلا القيم فصونوها."

لهذه العبارات، أطرق الجميع السمع فساد الهدوء كأن سحرا رهيبا سلب الجمهور أرواحهم. وأضاف رافعا من صوته:

- "ألا إن أوهن النواميس ما كان بدعة أو تقليدا أعمى، ألا إن الحرية رأسمال فلا تبذروه إسرافا بغير مكان. حرروا أنفسكم من ضلال التبعية وزودوها بزاد الفضيلة، واقتلوا فيها الخنوع غير المبرر وشهوة الرذيلة. النظام أمانة فليعم المدينة فإنه أساس الحضارة والأمان."

صفق الناس وهتفوا بشعارات مؤيدة للسلم والحرية مرددين:

- "يحيى الشعب... يحيى العدل ..."

عاد السكون لما أراد مواصلة الحديث:

- "أيرضيكم وباء أصاب المدينة فنال لا قدر الله من أهلكم نيلا؟ أو أصابكم الطوفان فتشرد منكم من تشرد والآخرون كانوا قوما غفلا؟ أترضون الخذلان مبدأ إذ أنتم هدف لكل طامع لعين؟ أترضون بغير الغيرة حينها والذود عن تماسككم المتين؟"

رددت الحشود :

- "لا ... لا ... يحيى الشعب ... يحيى العدل ..."

زادت ثقته بنفسه أكثر فطوي الورقة وأعادها إلى الجيب الخلفي من سرواله وأطلق العنان لأفكاره وصعد من لهجته بنبرة مغايرة:

- "إلى متى ستظل المدينة على حالها وأنتم أدرى به وأعلم؟ إلى متى سيظل الصمت علامة الرضا والمتكلم أظلم؟"

عم السكون، وانخفضت الرقاب ومن الحضور من رأى أن في انسحابه خير، فطائفة جرت ذيولها فورا، وأخرى تأهبت لمغادرة الساحة في خطى متثاقلة، والفئة الباقية استسلمت لسحر الكلمات لما أردف قائلا:

- "أيها الناس لا بقاء إلا بالانضباط والأمانة، وكم من أمم صارت بائدة بتفشي الخيانة، ارضوا ضمائركم قبل فوات الأوان حيث لا تنفع الندامة! ارعوا الذمم والقيم المثلى وكافئوا بالتقدير أهل الاستقامة!"

كان يتحدث كالزعيم الذي لم يخنه التعبير فاستنهض العزائم ببلاغة عجيبة، فلم يخطر بباله أن يطرح أزمته المادية بسبب بطالته التي طال عمرها. لم تخنه الكلمات فواصل:

- "ستأتي بعدنا أجيال تحاسبنا وتدين فينا غياب الحزم، ستتنكر لنا فماذا حققنا لهم فيشفع لنا يا قوم؟ ألا إن التاريخ يوثق وما أحذق وأدق وسائل التوثيق اليوم!''

في هذه اللحظة شرع من بقي من الناس يأخذون له صورا إما بهواتفهم المحمولة أو بواسطة مصورات رقمية، يا لروعة المنظر: فلاشات من هنا وأخرى من هناك وكأن الساحة مركب رياضي غربي.

وهو في غمرة الانتشاء بهذا المشهد البطولي انتشلته يد الواقع وقاطعت غفوته. فقد رمقت عيناه شرطي المدار وهو يتوجه إلى المقهى بعد أن أنهى دوريته. تجرع مضطربا ما تبقى من قهوته المرة دون أن يسمح لامتعاضه من طعمها أن يتجلى على قسمات وجهه الذي أخذ في الاصفرار أكثر. حول اتجاه نظراته يسارا فوقعت عينه على النادل الذي كان يتفرسه بازدراء، غير اتجاه نظراته من جديد ناحية أخرى من الشارع فرأى شرطيا آخر كان يحدق به. نهض مسرعا وكله ارتباك، ثم عاد متعثرا ليضع ثمن الضيافة على المنضدة ويتناول نسخة الكلمات الموجهة التي كتب على ظهرها هاتين الكلمتين (إلى متى...). من يدري؟ قد تجلبا له المتاعب وهو في غنى عنها.

- "أي قهوة هاته مثيرة للخيال!" تعجب في صمت موليا أدراجه إلى مقهاه البسيط وكله شوق في جلسة شعبية وقهوة أخرى بقطعتين سكر ونكهة طيبة.

فاس، في: 2013/07/03

عند الامتحان

في بلدة ساحلية حيث خلال الصيف يكثر زوارها من كل فئات المجتمع، أُقيمت منافسة لأفضل طبق أكثر غرابة وغير مألوف يتم إعداده وتقديمه خلال مهرجان الطهي السنوي. اجتمع السكان والسياح حول الساحة المركزية للمشاركة في الحدث.

ظهر ثلاثة طهاة متسابقين طموحين في المنافسة: "شيف سلطعونات السحر" و"طاهي الحشرات المتوهجة" و"مخترع الأطباق المضغوطة الغريبة"، وكانوا هم المتأهلين الثلاثة لنهائي المنافسة. كانوا جميعا متحمسين لإبهار الحكام والجمهور بالمأكولات الفريدة التي اخترعوها.

بدأت المنافسة بشكل كوميدي، حيث أظهر كل طاه أطباقا مدهشة. قدم "شيف سلطعونات السحر" سلطعونا مشويا بنكهات سحرية مبتكرة. وعرض "طاهي الحشرات المتوهجة" مجموعة من الحشرات المغموسة في صلصات لامعة مضيئة. بينما قام "مخترع الأطباق المضغوطة الغريبة" بتقديم طبق فريد من الأطباق المعمرة المضغوطة في صورة تشبه الماس، وهو الذي في النهاية، فاز في هذه المسابقة، وذلك بفضل طريقة عرضه الجذابة وتنوع أطباقه التي تتميز بالرقة والبريق الذي يميز الأحجار الكريمة. حاز على لقب "ملك غرابة الطهي" بفخر. ولكن خلف الأضواء والتصفيق، كان السكان يتبادلون الحديث حول مدى فراسة المنافسة. ذلك لأن في مطاعم المدينة، على بعد خطوات قليلة من المنافسة، كان هناك مطبخ متواضع تديره "أم رضوان". كانت أم رضوان معروفة بطهيها اللذيذ

وتعاطفها مع الأسر المحتاجة. لكنها لم تتوجه للمشاركة في المنافسة، فقد اعتبرتها لجنة الإعداد للمسابقة غير مؤهلة لتشارك في مثل هاته التظاهرة الكبيرة.

عندما تساءل أحد الحكام عن سبب عدم مشاركة أم رضوان، قال له أحد المعدين بسخرية: "أم رضوان لا تضيف تأثيرا غريبا للطهي، فهي فقط تمنح الدفء واللمسة الإنسانية للمأكولات!"

فيما بعد، بينما كان الإعداد للمنافسة على قدم وساق، ألح السكان على المنظمين، وكان من بينهم شخصية مؤثرة في المجتمع، فتح المجال للمشاركة في المنافسة بمنتهى العدل. فدعوا جميع المشاركين لتقديم عينات صغيرة من أطباقهم لتقييمها. خلال المسابقة، قام مرة أخرى كل من "شيف سلطعونات السحر" و "طاهي الحشرات المتوهجة" و"مخترع الأطباق المضغوطة الغريبة" أطباقا تبدو غريبة للعين وغير مألوفة.

وفي الجانب الآخر، قدمت أم رضوان، التي تم استدعاؤها بفضل إلحاح السكان، طبقا بسيطا من الفاصوليا البيضاء والأرز المنقوع بنكهة من الكركم. قد تكون الأطباق الأخرى أكثر فرادة، لكنها طبخت بمهارة وحب، ما أعطى للأطباق نكهة فريدة تعكس التقاليد والمألوف.

بدأ الجمهور بتذوق الأطباق، وكانت التعابير على وجوههم متباينة. كان هناك من يعجبهم الطبق الغريب ومن يحاول فهم النكهات غير المألوفة، ولكن أثناء تذوق طبق أم رضوان، انبهر الجميع بالطعم الأصيل والشهي الذي أحضر الذكريات والدفء. فتجاوز الطعام البسيط حدود الغرابة ووصل إلى قلوب الحضور.

بعد انتهاء التذوق، أعلن أحد الحكام بجدية: "الفائز الحقيقي في مسابقة الطبخ في نسختها السادسة عشر الطباخة الأصيلة أم رضوان! لقد أثبتت أن أجود أنواع الطعام هو ذاك التي يأتي من القلب."

هكذا، فازت أم رضوان بالمسابقة الحقيقية لتثبت للمجتمع أن الغرابة والتكلف والخروج عن المألوف ليسوا دائما حلا لكل شيء. قد يكون الشيء البسيط والمألوف هو ما يحتاجه الناس بالفعل.

في الأيام التالية للفوز الكبير لأم رضوان في المنافسة، انتشرت قصتها في كل ركن من أركان البلدة. أصبحت هي الحديث الرئيسي بين السكان، وكان الجميع متفقا على أنها قامت بتجسيد فلسفة البساطة والدفء في الطهي.

سرعان ما وجهت دعوات من السكان لأم رضوان من أجل توسعة مطعمها الصغير. ورغم أنها كانت مترددة في البداية، إلا أنها قررت أن تفعل ذلك بعد تشجيع كبير من أصدقائها وجيرانها. في اليوم الافتتاحي لمطعم "أم رضوان" الجديد والأنيق، تجمع الناس بأعداد كبيرة لتجربة أطباقها الشهية. تم تزيين المطعم بألوان زاهية وديكور بسيط يعكس شخصية أم رضوان الودية والحنونة.

وهكذا تصاعدت شهرتها، وبدأت تتلقى عروضا من كبار المستثمرين والشركات لتوسيع عملها وفتح سلسلة من المطاعم. ومع تحقيق نجاحها في مشروعها الثاني، تغيرت شخصيتها تماما. فقد أصبحت للأسف متعجرفة ومغرورة، وتجاهلت النصائح الحكيمة التي كانت تعتمد عليها في السابق.

فطغت الشهرة والنجاح على عقلها، وأصبح همها الوحيد هو تحقيق المزيد من المال والتفاخر بثروتها. قررت أن تنشئ سلسلة من المطاعم الفاخرة في

أنحاء المدينة، واستغنت عن الأطباق البسيطة التي كانت تمثل قيمتها الحقيقية.

انغمست أم رضوان في عالم الحفلات والأحداث الكبيرة، وأصبحت مثيرة للجدل بسبب تصرفاتها الجريئة والمثيرة للانتقادات. أصبحت تنفق أموالا طائلة على الملابس الفارهة والمجوهرات الثمينة، وأصبحت تتعامل ببرودة واستخفاف مع الموظفين في مطاعمها وبخاصة مع المحتاجين. تجاهلت النصائح الحكيمة التي حاول البعض توجيهها لها، واستبدلت الود والحنان بالغرور والتكبر. أصبحت تعتقد أنها فوق القوانين وأن المجتمع مدين لها بالتقدير والاحترام بسبب نجاحها. وهكذا بدأت تنظر إلى الآخرين بنظرة استصغار وتعتبر نفسها أفضل منهم. اتخذت قرارات سيئة للغاية، محاولة زيادة ربحها على حساب الجودة والأخلاق. أصبحت تقلل من قيمة الناس الذين كانوا يعملون معها، واعتقدت أن النجاح يعني أنها محقة في كل شيء.

بدأت الشكاوى تتوالى من قبل العاملين في مطاعمها الجدد، حيث اعترضوا على طريقة تعاملها الاستبدادية والمهملة تجاههم. لكن أم رضوان لم تهتم لهذه الشكاوى، بل عقدت اجتماعا مع فريقها الإداري وهددتهم بالفصل إذا استمروا في تقديم أي شكاوى.

بينما اشتدت الانتقادات على وسائل التواصل الاجتماعي وفي وسائل الإعلام، زادت أم رضوان من نبرة استفزازها وتصاعد جرأتها في تصرفاتها. اعتقدت أن الشهرة السلبية أفضل من عدم الشهرة على الإطلاق، وأنها في الطريق الصحيح لتحقيق النجاح.

مرة، قررت أم رضوان أن تنظم حفلا كبيرا في أحد مطاعمها الفاخرة للاحتفال بنجاحها الكبير والمتصاعد. وبينما كان الحفل في أوجه، كانت تلقى

التصفيق والتهاني من الحضور، لكن في الحقيقة، كانت هناك نظرات ساخرة وتذمر مكتوم من بعض الضيوف الذين شعروا بالانزعاج من تحول شخصيتها.

في أثناء الحفل، اقتربت امرأة متواضعة منها وقالت بلطف: "أم رضوان، لقد أكرمتني وأطعمتني عندما كنت في حاجة، وكان طعامك يملأ قلبي بالدفء والراحة. لكن الآن، لا أتعرف عليك. هل فعلا النجاح جعلك تنسى من أنت حقا؟ "

لم تعرها أي اهتمام بل قطبت في وجهها باستهجان وأمرت أحد الحراس بإخراجها من المطعم. بمرور الوقت، بدأت المطاعم الجديدة تتراجع في أدائها وتفقد الزبائن بسبب سوء الخدمة والجودة. بدأت أم رضوان تخسر أموالا بشكل متزايد وتكتسب سمعة سيئة في المجتمع. وفي أحد الأيام، خلال حفل أقامته في أحد مطاعمها الفارهة، خرت أمام الجميع بلا قوة. لقد أدركت بعد فوات الأوان أنها فقدت الكثير من ذاتها في سبيل الشهرة والثروة. بدأ الندم يعتري قلبها، لكنها لم تعترف بذلك أمام الحضور.

فكانت نهايتها مأساوية، حيث انهارت نفسيتها وسقطت في حفرة عميقة من الاكتئاب والوحدة. فقد كانت الشهرة والغرور قد أفسداها وأداراها بعيدا عن قيمها ونجاحها الحقيقي، فأصبحت مجرد ظل لنفسها السابقة، ومطاعمها جفلت من يدها تدريجيا بسبب تدني الخدمة وسوء الإدارة وبسبب أنها لم تتعلم من أخطائها التي جعلتها تتحول إلى شخصية بعيدة كل البعد عن القيم والأخلاق التي كانت تعتز بها.

فاس، في: 2023/07/09

قطعة من جهنم

تركت المدينة صباحا على أمل أن أصل إلى القرية مساء. عندما أقلعت الحافلة كان همي أن أصادف سائقا يقلني إلى الدوار والسائقون كلهم كانوا في القرية من ممتهني النقل السري، عرباتهم المتهالكة كانت لا تصلح إلا لطرقات غير معبدة ولم يكن لي أو لأي أحد سواي ممن تضطرهم الظروف للتنقل من وإلى الدواوير البعيدة بد منها.

أبطأت الحافلة أولا بسبب عطل ميكانيكي مفاجئ وأبطأت ثانيا من أجل انتظار مسافرين قد يأتون وقد لا يأتون. وكنت مع ذلك التأخر أفقد الأمل في أني سأصادف أحدا من أولئك السائقين الذين أغلبهم يروحون لمساكنهم قبل مغيب الشمس بقليل .

حقيقة أن ما بين الجنون والوعي شعرة رقيقة، ومحق صاحب هذه المعادلة الصعبة: " أحب السفر وأكره الرحيل". عندما توقفت الحافلة في تلك القرية نزلت مسرعا وكان مناي أن يكذب حدسي ولن أضطر للمبيت في هذه القرية الكئيبة نهارا، فكيف سيكون منظرها ليلا؟ لقد نسيت حقيبتي لما نزلت من الحافلة ولم أنتبه لذلك. تجاهلت من كان يمشي خلفي وينادي لكوني لم أكن أفهم ماذا كان يقول ولا حتى على من كان ينادي بلهجة أمازيغية لم أحفظ منها إلا بعض العبارات القليلة جدا. لم أتوقف إلا عندما جذبني بقوة ذاك الشخص وكان شيخا في السبعين من عمره. نهرني بفظاظة ريفية وهو يناولني حقيبتي، أخذ يعاتبني ربما، فلم أكن أفهم كلامه غير أن من خلال حركاته وهو يدير سبابته على صدغه تأكدت أنه كان يعاب علي

طيشي. تسلمت منه الحقيبة وقبلت رأسه شاكرا دون أن أتفوه بكلمة وكان كل همي أن أغادر القرية هاته. ربت على كتفي وسألني فلم أفهم سؤاله تماما ولكن إيحاءه وهو يقلب كفه جعلني أدرك أنه كان يسألني من أين أنا قادم أو إلى أين أنا ذاهب فلم أعرف كيف أجيبه وجاء الفرج حينما أغاثني بكلمات دارجة عربية، تبسمت وأخبرته أني مدرس وعلي أن أجد عربة تقلني إلى الدوار الذي أشتغل به. هز رأسه وكأنه كان يقول لي من المحال أن تجدها. شكرته وقصدت مقهى متواضعا عادة ما تتوقف الحافلات بالقرب منه. في حين، فقد أسرع الشيخ الخطى متوجها إلى مسجد صغير على الحافة الأخرى من الطريق.

دخلت ذاك المقهى وأنا محبط ليس لشكله العشوائي المنفر، ولكن لأني كنت متوجسا من المبيت في مثل هذه الأماكن.

كانت ليلة صيفية مظلمة، ورتيبة لا حياة بها إذا استثنينا المذياع الذي كان يبث موسيقى محلية. نغمات كانت تستعجلني للنوم باكرا لكني قاومت وسرحت بخيالي وزارتني في تلك اللحظات ذكريات الطفولة القديمة وخرافات الجن والغول التي طالما سمعناها في صبانا. ترى ما الذي ذكرني بها آنذاك؟! ربما خوفي غير المبرر، ربما كوني شخصية اجتماعية ولم أجد هناك من جليس يفهمني. حتى النادل الذي يتحدث العربية بطلاقة والذي أكد لي أني قد فوت فرصة الركوب بمدة قصيرة جدا وأنه صار من الضروري أن أبيت هناك، تركني وانصرف لشغله بعدما سألته عن إمكانية وجود مأوى أبيت فيه، وبإيجاز رد علي بإشارة من سبابته رفعها إلى الأعلى. لم تكن لدي شهية للأكل أو للشرب ورغم ذلك استحياء طلبت بعض ما أسد به رمقي. وبقيت في مكاني صامتا ككرسي من الكراسي المهترئة في ذاك المقهى الريفي، والذي كان يفتقر لمواصفات المقهى. فالجدران كانت رمادية اللون بسبب غبار

السنين وعدم تجديد صباغتها، والأرضية، بدون بلاط، كانت لا تختلف تماما عن شكل أرضية الشارع. الإنارة الضعيفة القادمة من مصباح غاز قديم ووعثاء الرحلة عجلا بحاجتي للنوم فقررت النهوض لكني شعرت بارتخاء طرفي السفليين وكأنني صرت مشلولا. تسارعت دقات قلبي وعلت حرارة جسمي. تناولت كوبا من الماء ومن طعمه الغريب جزمت أنه ماء بئر وليس ماء صنبور. تماسكت قليلا مستجمعا قواي ونهضت بسرعة. ثم تقدمت بعض الخطوات وسألت النادل عن دورة المياه فأشار لي أنها خارج المحل على يساره أقصى ساحة صغيرة. عندما وصلت إلى باب دورة المياه وجدت شمعة موضوعة في فنجان طيني مكسور وضع فوق صندوق خضر خشبي قديم وبجانب الفنجان المكسور ولاعة بلاستيكية. أوقدت الشمعة وحملتها وأنا أدخل الدورة متعوذا. لما عدت إلى منضدتي وجدت أناسا جددا قد حلوا بالمقهى وقد تعالى حديثهم وضحكاتهم الشيء الذي طرد رتابة المكان. فاستأنست بوجودهم وقررت السهر وسطهم ربما لأكثر من ساعة إلى حين توقفت حافلة مسافرين وأقلتهم جميعهم وأفرغت المقهى البئيس ليعاودني القلق من جديد. لم تكن معي ساعة لمعرفة الوقت، وأجزم أن الساعة كانت قد تعدت الثانية عشر ليلا حينما كنت أشاور نفسي أأمكث أم أطلب من النادل أين يمكنني أن أستلقي هذه الليلة. لكنه جاء ليستسمحني أن أدفع ثمن ما تناولته وسبقني بالسؤال إذا كنت أرغب في النوم فناولته النقود وأنا أهز رأسي معلنا حاجتي للنوم. استل مصباحا جيبيا وطلب مني أن أتبعه. سلكنا سلالم إسمنتية بدون بلاط ولم يتوقف إلا عند الدور الثاني حيث كانت متكومة هنا وهناك بعض الأكياس والصناديق منها الخشبي والكرتوني. فتح بابا لحجرة صغيرة جدا تكاد تكون خما لضيقها ورائحتها. ترددت لحظة في الدخول. لم يسألني رأيي بل اعتذر وهو يقول لي بأن هذا هو

المتوفر لديهم. تفهمت الوضع وتقدمت خطوة في حين سألني إن كنت بحاجة لشيء ما وأومأت نافيا. سحب الباب وأقفله وكدت أصرخ عندما سمعت قلقة القفل وهو يدار فيه المفتاح. قطعة شمعة ثُبتت على فم قنينة زجاجية لمشروب الكوكا كانت هناك على قطعة جدع شجرة صغيرة قد أوقدها النادل بنفسه قبل أن يغادر.

ما المصير الذي كانت تخبئه أقدار تلك الليلة؟

كآبة المكان والصمت العميق جعلا من ليلتي تلك ليلة عسيرة قضيتها وكأني ميت بات بقبره، ناهيك عن سهادي الذي أج الموقف وزاده من الشقاء إلى حد أنه كان يخيل لي أني محبوس ليس بزنزانة معتقلين ولكن بمأوى مجانين. حواسي أجبرتها العزلة في هذا الوضع على التسليم بأني صرت جسدا بلا روح وأني من المستحيل أن أصبح حيا يرزق بكامل قواي العقلية والصحية.

تمددت على فراش اسفنجي رقيق بسط على حصير بلاستيكي قديم. صناديق أخرى كانت تؤثث الحجرة وأدوات فلاحية ركنت بزاوية منها، كم معولٍ ومشطٍ ومجرفةٍ ومِسحاةٍ! وفأسٌ، وقد وضع فوقها قبعة دوم جبلية (ترازة). المخدة كانت صلبة خشنة ولما حاولت أن أغمض عيني بعد أن تلحفت بغطاء مغبر، لم تطاوعني جفناي وسمعت صوت إقفال أبواب المقهى في الأسفل. انتبهت للشمعة وجدتها في دمعاتها الأخيرة نهضت لأطل عبر نافذة صغيرة فبدا لي المكان خاليا من الحركة. تعوذت واستلقيت فكم كانت حاجتي لنوم عميق بسلام. لكن لحظتها شيئا ما كانت تهيئه لي السماء. وميض متكرر حسبته من البرق لكنه كان غير ذلك إطلاقا. على الباب كانت مثبتة قطعة مرآة مكسورة بغير برواز على شكل شبه منحرف. دققت النظر مع خفوت ضوء الشمعة التي سرعان من انطفأت، فميزت أن الوميض كان مصدره المرآة. أغمضت عيني مرغما فشعرت بالفراش تحتي يتموج بقوة.

تصلب جسمي وتيبست يداي على المخدة. لحظة هدأ التموج الذي حسبته بعد ذلك من أثر السفر. لكن انجذاب اللحاف من فوقي كاد أن يدخلني مباشرة في هلوسة جنونية. تلوت ما كنت أحفظه من آيات لكن لما سمعت طرقا تحت مخدتي شعرت بحاجتي للذهاب إلى دورة المياه، فقفزت من مكاني أنادي بأعلى صوتي ولا من مجيب. تكومت على نفسي كطفل صغير أشد ركبتي إلى صدري وقد وضعت جبهتي عليهما. سمعت طنين زنابير ولما رفعت عيني اتضح لي أن القبعة كانت تحوم حول رأسي وأن عظاية اتخذت من مقبض الباب متكأ. ارتجفت من الذعر لما سمعت نئيم بوم حط على الشباك مثبتا مخالبه على شيشه.

وعلى الجدار ظلت العظاية تتنقل على خط أفقي بفاصل متر واحد تقريبا وهي تحرك رأسها كأنها كانت تقول لي: "اخرج من هنا."

وأنا أعيش هذا الكابوس الواقعي فاقدا للإرادة وللقوة، انهمرت دموع لم ألق لها أصابع لكفكفتها. قبعة الدوم كانت تحوم كالمروحة سرعان ما استقرت على رأسي ووجهي وصارت تضغط بقوة حتى اختنقت وفقدت وعيي.

في جزء بعيد من الطريق الترابي رأيت في منامي تلك الليلة أن كانت هناك عربة خفيفة تنتظر يتقدمها حصانان. توجهت إليها حبوا في لحظة قد اندفعت الريح وهزت صدمة رعد متصدعة المكان وفي ذهول جلست بهدوء تحت إحدى عجلتي العربة. سمعت صرخات غير مفهومة مرعبة ورأيت البوم قد تحول إلى نسر ضار يضرب بجناحيه وكأنه غاضب. تسلقت العربة كما تفعل السحلية وما إن تحرك الحصانان حتى انقض عليهما النسر وجذبهما إلى الأعلى وطار في اتجاه مجهول .

فتحت عيني كنت ملقى على الأرض وكل ما في الحجرة قد انقلب عاليه سافله، ولأني استسلمت لما جرى لم يعد ذاك الرعب يهمني بل كنت أنتظر نهايته غير مبال بنوعها. دون حراك، متصلب الأطراف، متوقفا عن التفكير تماما كصنم كنت أنتظر ما سيلي ذاك المشهد وأنا ملقى على الأرض في فوضى عارمة، طال انتظاري كميت ينتظر دفنه.

وفي رمادية الفجر أحسست بدبيب حياة في جسمي، جربت النهوض فنهضت كالسكران. جاهدا أعدت ترتيب الفراش وإذا بآذان الصبح يعلو في عنان سماء صافية، بعده بقليل سمعت أبواب المقهى تفتح فصرخت مناديا. بعد ثوان فتح الباب ولم أكن أكثرت بما كان يقول النادل نفسه الذي أقفله بالأمس. وضعت حقيبتي على كتفي وغادرت المقهى دون أن أجرؤ على رفع رأسي جهة نافذة تلك الحجرة اللعينة.

فاس، في: 2022/11/09

رعب

كان الكاتب بادي ما زال مستيقظا، لقد ألزمه خيط حكاية أن يسير خلفه، فانصاع له في عالم الخيال وهو مستلق على سريره، سمع الضربات الثلاثة للساعة الحائطية من صباح الأحد التي غمرت الغرفة فأخرجته من متاهة هذا التصور العسير. كانت بالنسبة له هذه الضربات مجلجلة بشكل فظيع والتي قد هزت جدران الغرفة، انذعر لها بادي حتى أنه قد ارتعد من الخوف. بعد لحظة اطمأن قلبه وهدأ روعه فحاول أن ينام إلا أن أصواتا أخرى، لم يكن ينتبه لها حين كان شارد الذهن، أجبرته على التركيز والاستيقاظ. إنه أنين قادم من الخارج، حسبه جشأة[1]، وسرعان ما اتضح له أنه صوت غير مأنوس لمخلوقات أو أشياء غريبة ذكرته بأحلام الطفولة البائسة. أرخى سمعه فإذا بالأصوات المتسللة من خلف الباب تهيج رعبه مرة ثانية. أوقد مصباح الليل بجانب السرير وحاول النهوض مرتبكا. هذا الضجيج لم يكن مألوفا لديه وكان من الصعب عليه تجاهله. اشتدت نبضات قلبه. كانت الأصوات خليطا من صرير وطَنِين[2]، أزيز[3] ودنين4، صليل5 وهزيم، وكلها أصوات متداخلة خفيضة ذات حِدَّة. انسل الهلع إلى فؤاده واستبد به خصوصا لما وصلت إلى أذنه تلك الحركات الخارقة المنبعثة من حجرة الضيوف. دق الباب فاهتز من مكانه وتدلى حجاب الخوف أمامه، صرخ عاليا مرتجفا: "من بالباب؟"، وصمت قليلا عله يميز الواقف خلف الباب من صوته، لكن قرع الباب تواصل بتواتر مرعب دون أن تأتيه إجابة.

في هذه الأجواء الرهيبة تذكر قصصا رعب قد سبق له أن ألفها وكانت تنتهي دوما إما باستيقاظ من كابوس أو من غيبوبة مرضية. فأخذ يتحسس جسمه ليتأكد هل هو نائم أم في حالة غير طبيعية. " نعم أنا هو أنا، إلا أني أواجه هلوسات الليل، هذا كل ما في الأمر." قال في نفسه بتذمر. قرب منه هاتفه المحمول لإجراء اتصال لكن يده من الرعب لم تطاوعه لفتحه فتركه جانبا.

ثبت عينيه على الباب، تقدم بضع خطوات باتجاهه وقرب عينه من خرمه ثم قفز إلى الخلف مذعورا، تراجع وكأنه يستعد لهجوم مباغت. دمدم مشتت الفكر من الخوف: "يا ويحي! ماذا يحدث هنا برب السماء؟"

تشجع مرة أخرى ومد عينه ليرى ما يجري خلف الباب كان عالم آخر قد تشكل: مجموعة من الصخور بأشكال الدناصير قد رصت هنا وهناك على شاكلة أصنام لكنها كانت تتحرك كما يتحرك الغسيل على الحبل بفعل الريح، الفضاء كان عبارة عن أضواء بنفسجية تخفي المنظر الداخلي الحقيقي. خر بادي على ركبتيه مفزوعا وبقي في تلك الوضعية بدون حراك وكأن أنفاسه قد انقطعت. فكر في النهوض وتتبع ما يجري بالخارج عبر النافذة، فدنا منها أخيرا حبوا، ثم أزاح ببطء شديد بعض الشيء الستارة ومن خلف زجاج النافذة حاول توسيع بؤبؤ عينيه لاختراق ضباب الليل المعتم فتراءت له نقاط حمراء تتراقص فحدق كثيرا ليميز أخيرا في تلك العتمة أشكال حيات عظيمة سوداء بعضها يموج في بعض. لم يعد قادرا جسديا على أداء أدنى حركة من هول ما كان يصير بالخارج. لا مفر من مصيبة لم يبق بينها وبينه إلا أن يفتح الباب أو النافذة. "تراني أحلم؟ وإلا فإنه يوم القيامة!" قال محدثا نفسه .

بدأت الأصوات تعلو شيئا فشيئا معلنة دنوها من الغرفة. قرر بادي في آخر المطاف أن يعود لسريره وأن يتشهد ويغمض عينه مسلما أمره للأقدار

ومنتظرا أن يخرج من الظلام الخارجي كائن بشع ينهي رعبه هذا الذي شل جسمه وأوقف تفكيره. في صمت رهيب من جهته توحدت أخيرا الأصوات في صوت واحد، كان صرير الباب يتكرر حيث كان يفتح ويغلق عدة مرات دون أن يفتح تماما أو يغلق تماما. انتظر بادي مصعوقا أن تقفز عليه تلك الكائنات التي رآها خلف الباب. وماهي إلا لحظة وتحت الضوء الخافت لمصباح المنضدة القريب من السرير، تظهر لبادي المتجمد من الهلع جثة ألقيت أمامه بشكل غريب مع ذاك الضباب الخارجي وربما كان ضبابا عقليا غريبا. أخذ يذرف دموعا حرى دون أن يحدث صوتا نحيبه، من الغصة شرع في الصراخ وهو يظن أَلَّنْ يسمعه أحد. تعاود ساعة البندول جلجلتها وهي تعلن بضرباتها الاثني عشر من منتصف الليل.

ويعاود بادي صراخه بقوة مجفلة ويفتح عينه وفي ذهول مميت يرى عبر النافذة المشرعة بريقا ويسمع هزيعا، يهب لإحكام إغلاقها ويتراجع منتصبا بضع خطوات وهو مثبتا نظره على النافذة. فجأة رن هاتفه، التقطه برفق بعدما استدار وتوجه إلى منضدة السرير، كان الهاتف ينبهه بموعد منتصف الليل لأخذ الدواء. فرك صمغيه بوسطاه وسبابته اليمنيين واليسريين في آن واحد، محاولا أن يتذكر ما سبق هذه اللحظات، لم يتذكر إلا شذرات مشتتة مما رآه وسمعه، فأرخى بجسمه على المسند بعد أن أخذ حبة من علبة الأقراص، وهو يدمدم ممتعضا: " لعنة الله على هذه الهلوسة السمعية البصرية التي ستقودني للجنون لا محالة."

فاس، في: 2023/01/07

جُشْأَة[1]: صوت للرياح عندما تهب في الفجر.
طَنِين[2]: صوت البعوض.
أزيز[3]: صوت الرصاص ويشير أيضا إلى صوت الطائرات.
دنين[4]: صوت الذّباب.
صليل[5]: صوت ضرب السيوف أو صوت الحديد.

أبي لن تبقى وحيدا!

حالما، كان يمشي بدون اتجاه. لم يخطر بباله أي مكان سيتجه إليه، لم يقرر شيئا قبل أن يبدأ بالمشي. كان يرتدي سروالا قماشيا بلون أزرق داكن، اللون الذي يشير أحيانا إلى مشاعر العزلة والحزن، وقميصا سماويا فاتحا. حين رفع عينه إلى الأعلى، رأى غيمة تتوسط سماء زرقاء. تفرسها مليا وبدت له أنها خيمة كبيرة، فتذكر بيته الفارغ من أهله والمملوء بالحسرات، فطأطأ رأسه وفرك عينه كأنه يريد بذلك لجم دمعه. كان الوقت عصرا والجو معتدلا، ومع ذلك كان يحمل مظلة سوداء، يستعملها كعكاز. الغيمة كانت لا تسير، بل تراها كانت ترقبه من بعيد. واصل سيره خالي الفكر، غير متعجل للوصول لمكان محدد .

مؤخرا كان يجد صعوبة في تذكر خريطة المدينة، فتختلط عليه الشوارع والأزقة، فهو من مدة لم يجرب المشي بدون اتجاه، وربما لأن شكل المدينة قد تغير لطول انعزاله عن الناس، وربما هو النسيان الذي بدأ يسيطر على ذاكرته .

لون السماء كان ساعته البسيطة، لم يكن يهمه ما الوقت، كان يكفيه أن يميز فترة اليوم، أهي صباح أم زوال، أهي مساء أو ليل.

برأس منحنية، متعكزا بمظلته، أخذ يتنقل ببطء وبتردد شديدين من رصيف لرصيف ومن زقاق لشارع. وعلى الرغم من إجهاده لم يفكر في العودة. سرعان ما نسي من أين أتى وهكذا قرر أن يمضي قدما وكل متر قطعه كان ينظر إلى السماء فيطمئن كون الخيمة لا زالت ترافقه في السماء التي

شرعت في تغيير لونها، فالشمس قد قررت العودة لمبيتها، لكنه فضل الاعتماد على حدسه حتى يتبين له ما النهاية لهذا السير العشوائي. غمر الغيمة الخيمة احمرار الغروب ودارت في فلك أفكاره كآبة السنين الخوالي، كانت الوحدة عنوانا لها.

بسبب الخلوة التي فرضها على نفسه والانسحاب الاجتماعي الذي نهجه تمردا على وضعه، لم يعد يفكر في رفاق ولا معارف ولا أهل ولا خلان، اعتاد على ذلك والكل على ما يبدو قد نسيه وتجاهله. وهكذا استأنف حياته الرتيبة كأنه لا يريد أن يكون جزءا منها. لقد تساوت الهموم لديه ولم يعد يعنيه متى تنجلي.

بنظرة شاردة بحث عن الخيمة فوجدها غرقت في ظلمة السماء بينما كان جالسا على مقعد اسمنتي طويل على الرصيف واضعا رأسه على يده ومرفقه على فخده، ومستندا على مظلته. نهض ونظر يمنة ويسرة، فلم يدر أي طريق سيسلك، كان يعلم أن بيته يوجد بآخر الشارع الرئيسي للمدينة وهو الفاصل بين جنوبها وشمالها، وأنه كان عليه من البداية التوجه عكس ما سار عليه إن كان يروم العودة للبيت.

كثيرا ما كان عندما يخرج لا يهمه متى يعود للبيت، ربما لأن ذاك البيت بالذات لم يعد مكانه المفضل. وإذا كان الأمر كذلك فالحل يبدو سهلا للغاية وهو أن ينتقل لمكان آخر يعيش فيه، لكن المشكلة ليس في سقف يؤويه وينتهي الأمر، بل مشكلته مع من سيعيش فيه، والكل قد فارقه إما برحيل أبدي أو إكراه فرضته دوامة الحياة. وهو في السادسة والستين من عمره، ضاقت نظرته للمستقبل ولم يعد هناك شيء يبعث على الأمل. إنه الشعور بالفراغ وفقدان المعنى الذي تعود أن يتعايش معه، فهيهات كيف لرجل في عقده السابع أن يتعامل مع الشعور باللاجدوى واللامغزى؟! فقد اكتسب

اليأس والاستسلام، ومحاولاته اليومية في الابتعاد عن البيت وأي مكان مغلق يجد فيه نفسه وحيدا، جزء من رفضه لهذا اليأس الذي لا حل معه. فقدان الاهتمام لديه كان يزيد يوما بعد يوم، وضعف التركيز والحزن غدا من أعراض اكتئابه الذي أصبح مزمنا. لقد أضحى شخصا محبطا لا يرغب في أي شيء ولا يرى أي حافز في أي شيء.

نهض أخيرا وهو يمسك بيمينه قبضة المظلة التي كان يتعكز عليها، ورغم نزول قطرات خفيفة من المطر، لم يشأ أن يفتحها ويتظلل بها، استأنف طريقه إلى أن وجد نفسه يفتح باب بيته. كان الوقت متأخرا، فهرع إلى فراشه البارد بعد أن تناول بسرعة حبات من الرطب، ودون أن يفكر في شيء سحب غطاءه وأطفأ المصباح كمن كان في عجلة من أمره للعودة إلى سريره. كان يعي جيدا أنه من الصعب أن يخلد إلى النوم بسهولة رغم تعبه جراء مشيه وقتا طويلا، لذلك وضع سماعة الراديو الصغير الأنيق الأنيس الوحيد ورفيق عمره على أذنه اليسرى التي لا زالت تعمل بشكل جيد أفضل من اليمنى، وأرخى سمعه لما تبثه إذاعته المفضلة، ليعاوده الحنين للزمن الجميل. انهمرت دموعه وبات يبكي كما بكى بالأمس وأول أمس بل كما كان يبكي كل ليلة دون أن يدري كم من الوقت كان يبكي حتى يصبح وهو لا يدري متى أخذه النوم إلى أحلام لا يذكر منها شيئا.

في الصباح وقبل أن يقوم من فراشه، سمع على الباب طرقا خفيفا مصاحبا لرنين الجرس. ارتدى الصدرية الفوقية لمنامته وتوجه ليرى من على الباب والذي أرغمه على الاستيقاظ وترك فراشه مبكرا. لم يكن ينتظر زائرا، لكن مفاجأته كانت كبيرة عندما فتح الباب بعد تردد سببه التوجس. الشخص الذي كان واقفا ينتظر منه أن يفتح ذراعيه ويحضنه بحرارة بقي هو الآخر بلا حراك. فللمرة الأولى يتذكر فيها حلما، حلم تلك الليلة الذي رأى فيه الغيمة

الخيمة وبفراسة فهم تأويلها، فقال مبتسما ودمعه يسبق كلامه: "هذه رؤياي قد جعلها ربي حقا." بسط ذراعيه فارتمت في حضنه ابنته الوحيدة، قد عادت من المهجر بعد سنين من الغربة، لم تكن بمفردها، كان برفقتها ابنها الأنيق ذو العاشرة من عمره الحاذق الذكي المرح، وحماتها المترملة حديثا. ردت البنت: "أبي لن تبقي وحيدا بعد اليوم."

علم بعد ذلك أنها جاءت لتستقر نهائيا وتستثمر في وطنها ما اذخرته هي وزوجها طوال سنين الغربة.

صار من حين لآخر يختلس فرصة ليضع سماعة مذياعه ليتذكر الماضي الجميل لكن دون ذرف دموع، وبموجب دخول زوجته الجديدة، حماة ابنته، الغرفة، يتركه جانبا، فللوسادة حديث آخر قد يكون أكثر أنسا.

فاس، في: 2022/11/18

رحلة إلى مدينة النسيان

في أعماق الزمن وعلى رصيف الوجود، عاش رجل يحمل اسم يوسف في دوامة من الكوابيس المرهقة التي كانت تستنزف جوانبه المعنوية والجسدية. كان يوسف رجلا ذا قامة متوسطة، وكان وجهه يحمل ملامح فيها مزيج من التجارب التي مر بها. من عينيه كانت تنبعث حكايا الصراع والتجدد، تأمل في عين وتصميم في الأخرى. عيناه كانتا تعكسان تأثيرات الكوابيس السابقة التي تعامل معها كالظلام الذي ينحل في زوايا الروح ويتجاوز حدود الواقع والحلم. تلك الكوابيس كانت تسلبه النوم وتشل واقعه بقبضتها المخيفة، قد كانت تلاحقه في كل زاوية من حياته: "من يتخيل أن الكوابيس يمكن أن تغزو حياة الإنسان بهذا الشكل القاتم؟" تساءل مرة يوسف بنبرة تخترق قلب الظلام .

بينما استمرت الليالي في مراقبة يوسف بعيون الشبح الأليم، تكاثرت تساؤلاته وتعاظمت: "لماذا يجب أن يكون لدي مواعيد غير مرغوب فيها حتى في أحلامي؟" وجه سؤاله مرة بغضب مكبوت إلى الهواء المحيط به.

تقهقرت حياته من كل جهة، حيث تغلغلت تلك الكوابيس في كل حياته، محولة الأوقات الهادئة ولحظات الراحة إلى معاناة متواصلة. عبر نظراته الهائمة، كانت تنكشف أمامه أعباء الهموم والقلق، فداخله كان عالما مرعبا لا يستطيع مشاركته حتى مع أحبائه. الكوابيس كانت تسلبه القدرة على الهروب من دائرتها الضيقة.

في الظلام الذي زاد سواده، عاش يوسف مترنحا بين أسراره ومخاوفه. أصبح الليل جلسة تفكير وهموم لا تنتهي، حيث تحولت محادثات الليل إلى صرخات صامتة من الألم والعجز. لم تتحمل عائلته وأصدقاؤه وطأة ذلك العالم الخفي، فتداخلت الأوهام مع الحقيقة، وأصبح القلق شرارة تحرق علاقاته بهم.

مرة كان مع صديقه الوحيد الذي بقي مؤازرا له، قال يوسف مغموما محسورا: " أحمد، مشكلتي مع الكوابيس أثرت على حياتي بشكل كبير، لم أعد أحتمل، لا أستطيع النوم بسلام، والمشكل أن هذه الكوابيس أصبحت تطاردني حتى في اليقظة."

تلعثم أحمد مطأطئ الرأس باحثا بجهد خفي عما يقوله: " أنا آسف لسماع ذلك يوسف. ليس لدي بما أنصحك به، قد جربت كل شيء، العقاقير والرياضة... كل شيء، وحالك لم يتغير. أحس بأن عليك أن تتعايش مع مشكلتك، لعل الله أن يحدث بعد ذلك أمرا."

هز يوسف رأسه ولم يلتف جهة أحمد الذي استأذنه في المغادرة. بعد فترة قليلة أحس بأن كابوسا شرع في مهاجمته فنهض مسرعا وقصد المنزل. بصالة المنزل اتخذ مكانا، وشغل التلفاز في اللحظة التي دخلت فيها زوجته سارة، وكانت شابة ذات جسم نحيل ووجه مستدير قد بدأ يفقد نضارته، وذلك لما تعانيه مع يوسف من أرق؛ فرغم أنه كان يبدو عليها أنها تتسم بقلب دافئ وروح مرهفة، إلا أنها قد أصبحت عصبية ولأقل شيء تستشيط غضبا.

فاجأها يوسف من غير مقدمات قائلا بصوت متقطع: " سارة، أنا حقا لا أستطيع أن أستمر بهذه الحالة، لم أعد أقو على التحمل."

صمتت سارة قليلا ثم ردت عليه متلعثمة: " لم أذخر جهدا في دعمك من البداية، وأنت شاهد على ما أقول، اعذرني أنا أيضا أعاني في صمت ولم أعد أقو على التحمل، لابد من حل."

كان لوقع هذه الكلمات على يوسف كجلمود صخر حط من عل. جحظت عيناه وانزلقت منها دمعات، فيما سارة التفت للجهة الأخرى، ثم قامت متجهة للمطبخ. نهض يوسف وغادر المنزل صافقا الباب بقوة. في منزل والدته التي اعتادت على دعم ولدها بالنصيحة والمواساة والتشجيع، حصل لها هي أيضا إحباط كبير، ربما لكونها قد تقدم بها العمر وأن صحتها لم تعد في أحسن حال. جلس بالقرب منها وتنهد منتحبا: "أمي أنا ضعت، لا أستطيع التخلص من هذه الكوابيس، حتى سارة قد تعبت معي ولم تعد تقو على تحملي، معذورة المسكينة، ما عساني أفعل يا أمي؟ "

أجابته أمه محتارة ومتضايقة على حاله: " والله يا بني، ما عساني أفعله لك وأنا المهينة بلا قوة، اصبر هذا ما بوسعي أن أقوله لك."

في تلك اللحظات دخلت أخته ليلى، ومن خلال حالة الوالدة التي قد وضعت يدها على خدها، ومن حالة يوسف الذي كان شارد الرؤية في سقف الصالة، فهمت ما كان يروج فتدخلت بصرامة قائلة: " يوسف، لا تيأس، واعتمد على نفسك، لا أحدا يمكنه تقديم دعم إضافي، تفهم هذا يا يوسف."

تمعن مليا يوسف فيما قالته أخته، وقام مستأذنا في الانصراف. قرر وهو في طريقه خوض مغامرة البحث عن سلام داخلي في عالم آخر. كانت فكرته أن يهاجر إلى مدينة بعيدة عن محيطه. فترك وراءه أطياف الألم والتفكير

المرهق. طالما كان الطريق غير مستو، حيث ظل يقاوم العواصف التي حاولت العبور معه.

في غرفة بإحدى الفنادق غير المصنفة وفي أول ليلة بتلك المدينة البعيدة، تسلل صوت الكوابيس إلى أذن يوسف: "هل تعتقد أنك ستنجو من هذا المارد اللعين؟" فرد يوسف هادئا بصوت مليء بالإصرار والتحدي: "إنني سأحاربك حتى آخر نفس!"

واصلت الكوابيس تقتفي أثر يوسف واجتياح لياليه، وهو يتجه نحو السلالم المعتمة في اليوم الثالث من إقامته، همهم: "أنا أعلم أنه يجب أن يكون لدي تفسير لكل هذا."

وفي نفس اللحظة، تعثرت قدمه فوقع على قفاه فاقدا للوعي غارقا في عالم آخر مجهول. لما عاد إلى وعيه وجد نفسه مستلقيا على سرير بأحد المستشفيات. تساءل عن مصيره وماضيه، كان اللغز محيرا ولم يجد من يزف له جوابا. سمع حركة في الغرفة، هز رأسه متثاقلا وقال بصوت مرتبك:" من أنتِ؟ وأين أنا؟ بل من أنا؟" وقد كان يحاول جاهدا تجميع قطع اللغز الذي أصبحت عليه حياته.

الممرضة التي فهمت من تساؤله أنه قد فقد ذاكرته، أجابته بصوت ناعم محاولة تهدئته، وكانت شابة حسناء بشوشة: "أنت بخير، لا تقلق. اسمي ليلى، وأنت في أمان."

تساؤلات يوسف تكاثرت في ذهنه، وهو يحاول تصفية الضباب الكثيف الذي أحاط بذهنه.

سأل حائرا: " ما هذا المكان؟ ولماذا نسيت كل شيء؟"

فهمت الممرضة ارتباكه ولتطمئنه أكثر قالت مبتسمة: "أنت في مدينة النسيان."

رد يوسف مندهشا: "مدينة النسيان؟ "

وهي تطهر جرحه وتغير ضمادته، واصلت ليلى بنفس الرقة والهدوء بابتسامة تحمل في طياتها أملا: "هنا مكان يعيش فيه الناس الذين يبحثون عن بداية جديدة. نسيان الماضي يمنحك الفرصة لبناء حاضرك بشكل مختلف."

في ذلك المكان المجهول، بدأ يوسف مشوار تركيب أجزاء هويته من جديد. خطاه كانت تتردد وسط مشاهد غريبة، من تم بدأ يبني نفسه خطوة بخطوة. كان يستشف من حوله الكون بعيون الشخص الذي يكتشف الحياة مجددا. أخذت العلاقات والصداقات تتشكل بدون أثر الماضي المؤلم.

وهو شارد الذهن الذي كانت تطوف فيه فراغات مبهمة سمع ليلي، وقد سارت رفيقته في تلك المدينة البعيدة، تقول ناصحة بحنان:

"يوسف، البداية تبدأ بأن تتقبل نفسك كما أنت الآن، دون أن تتعلق بماضيك."

أهكذا هي النومة الأخيرة؟!

جفلت من نومي بهمسة غامضة، كما لو أن الهواء نفخها في أذني ببطء. ولكن هذه المرة شعرت بشيء غريب يتحرك في غرفتي، لمحته في زوايا البصر حينما حاولت أن أرفع جفني كأنما كان هناك وجه مبتسم ينظر إلي من وراء ظلام الغرفة، وعندما حاولت التقاط تفاصيله تبدد كالدخان.

هذه المرة وككل مرة استيقظت بعينين شبه مغمضتين مع دوار بسيط وتثاؤب فظيع، المتغير الوحيد أني لم أبرح فراشي عكس ما تعودت عليه حتى في أيام العطل إذ بموجب استيقاظي كنت أهب مسرعا إلى غرفة المياه. أزحت عني غطائي بخوف متزايد وحاولت أن أثبت بصري على سقف غرفة نومي، فوجدت نفسي في مشهد يشبه كوابيس الليل. عجبت للظلام الدامس الذي أغرق الغرفة رغم أن الساعة ربما قد كانت ساعة متقدمة من الصباح، هذه المرة شعرت بأن هناك ملامح خفية لأشكال تنبثق من الظلام وتختفي على الفور أحسست بحركتها في الهواء. تساءلت إن كان هناك وجود حقيقي لهذه الأشكال أم أنها مجرد تهيؤات لخيالي المضطرب؟ فجأة، تحولت الهمسة المحيطة بأذني إلى كلمات مفهومة: "هل تريد أن تعرف الحقيقة؟" سأل ذاك الموجود المجهول في غرفتي بصوت تسلل إلى عقلي كالسم. شعرت برغبة مجنونة في الإجابة على هذا السؤال، ولكني لم أكن متأكدا مما ستكون عليه الحقيقة. تمنيت في هذه اللحظة أن أكون غاصا في النوم على سريري مرة أخرى، مغطى بغطائي الدافئ. لم يكن هذا هو الجديد فحسب، بل كان هناك تغيير أكبر: فأنا لم أجد نفسي واقفا بالفعل بجانب السرير. فقد

بدا لي وكأني انزلقت بين الأبعاد، فلم أكن أعرف ما إذا كنت مستلقيا أم واقفا. هذا الشعور بالتلاشي والتشوه أثار رعبي بشكل لم أشعر به أبدا من قبل.

تحولت أرضية الغرفة إلى سطح لامع وشفاف، كأنه نافذة إلى عالم آخر. رأيت مشهدا مدهشا: مدينة غامضة تمتد إلى أبعد من النظر، مع أبراج ضخمة تلامس السماء وضوء غريب يتبدد ويظهر من بين الأبنية. شعرت بدفقة من الفضول والخوف في آن واحد، هل هذا هو العالم الذي يكمن وراء حواسي المعطلة؟

شعرت بتعب غير عاد وصعوبة لا تطاق في النهوض، ما سر هذه الظلمة؟ وما سر ذاك الهدوء غير المعتاد؟ وما سر ذاك الصوت الذي اختفى؟ تاه تفكيري بين دوامة من تساؤلات أخرى من قبيل: هل أنا أحلم؟ هل فقدت بصري؟ هل أنا موجود أصلا؟ كنت متعبا وما كنت أرغب فيه هو أن أنام لأيام وأيام أخرى دون أن أهتم لما يروج حولي. وكإنسان آلي حركت أطرافي مما جعلني أحس بالاطمئنان على أني لا زلت حيا. مع مرور الوقت، اتسعت الفجوة أكثر فأكثر بين رجحاني وارتيابي. الظلام الذي سكن عيني غيب عني حقيقة جسمي المادي، قلت مع نفس ربما جسمي الأثيري المادي كما يسميه العلماء قد انتهى، وما يعمل الآن هو جسمي العقلي. توقف الزمن أمام عيني، وكأن الواقع والحلم تداخلا بشكل لا يمكن تمييزه. هل هذه هي النهاية؟ هل أنا معلق بين الواقع والخيال، أم أن هذا المشهد جزء من تجربة ما؟ لم يكن لدي خيار سوى التسليم لقوى هذا العالم الغريب، ورغبتي كانت شديدة في أن أكتشف الحقيقة التي تنتظرني هناك.

في لحظة، شعرت بشيء غير مرئي يمسك بي، كأنه يحاول سحبي إلى الوراء. حاولت المقاومة، ولكن الشعور بالشدة زاد بسرعة وأصبحت عاجزا عن

التحرك. كانت الحقيقة تكشف نفسها تدريجيا، هل أنا فعلا كنت هناك أم كل ما حدث كان شريطا من حلم مطول؟

في لحظة من الصمت المطبق، تجاوزت حدود الوعي واستسلمت للجاذبية الغريبة. اندمجت مع الظلام والضباب والأشكال المتلاشية، وكأنني أصبحت جزءا من هذا العالم الغامض بلا نهاية.

ما كان لي من خيار سوى أن أغمض عيني وأرجو أن تأخذني سنة أو نوم. بالطبع لم أغف وكأني كنت مهزوزا فوق بساط ريح يسابق السحاب في ملكوت غريب لا تسطع فيه شمس. أهي حالة من الجنون؟ أم الوهم؟ أم هو كابوس؟ من أين لي بإجابة مقنعة؟ حواسي هيئ لي أنها تتعطل بعد مدة من التوقف الرهيب، أطرافي أخذت تتحجر والظلمة ازدادت حلكة والصمت المريب زاد من هلعي. استسلمت لفكرة أن أمثل أني نائم وألا أفكر بشيء. ورغم ذلك حلت بذهني قصص موت سريرية قرأتها من قبل. حبست نفسي في هذا الذهول مستسلما للظلام والسكون الآسر وخصوصا للجمود الذي أثلج جسمي. كيف نسيت أن أجرب لساني؟ فصرخت من أعماقي دون اختيار عبارة أو لغة والصادم أني لم أميز ما نطقت به. أكانت حاسة سمعي تتعطل هي الأخرى؟ حاولت أن أحرك رأسي وأتحسس بقفاي وسادتي فما وجدت غير فراغ يغلفني. تذكرت أن في حالة الموت السريري قد يكون الدماغ لا تصله نسبة الأوكسجين الكافية. قلت: فهمت الآن، إنه جوع الأوكسجين يعاني منه دماغي وأني في موت بيولوجي، وبالموازاة مع ما كنت أقول زفرت واستنشقت بملء كياني فما وصلتني رائحة، حركت لساني متحسسا به شفتاي من أعلى وأسفل، فما وجدت طعما لشيء. أجزمت على أني فاقد للحواس، فاقد للحياة. انتظرت أن يرن جرس المنبه، انتظرت أن تفتح الباب، انتظرت أن يحركني أحد أفراد الأسرة، طال بي اليأس حتى تمنيت لو

تقوم الساعة. طالت المدة التي التزمت فيها عدم التفكير وجاء الخلاص وضاع مني آخر شعاع للوعي. كم لبثت؟ لم أكن لأعلم إلا بعد أن أزيحت ستارة الغرفة محدثة قلقلة الحلقات النحاسية التي علقت بها. فتحت عيني بصعوبة كبيرة، ووسط ذلك الضباب الكثيف استطعت تمييز الممرضة التي حقنتني الأمس بحقنة مهدئة.

فاس، في: 2022 /07/22

الطريق المسدود

عندما نظرت إليها، كانت عيناها تعكس قسوة لم أكن أعتقد يوما أنها قادرة على أن تصير بتلك الصرامة. كانت تلك لحظة الانفصال الأليمة، أدركت خلالها أن الحب الذي امتد لسنوات طويلة قد وصل إلى نهايته. ظللت واقفا هناك، أمام جدران الفواصل التي بدت وكأنها تعكس حالة قلبي المشتتة.

أمسى المكان مليئا بالحزن الكامن، الأرائك القديمة باتت تفتقر إلى الحياة التي كانت تعبر عنها في السابق. الستائر الثقيلة كانت ترتفع ببطء مع حركة الهواء، وكأنها تودع الأمل الذي عاش هنا طويلاً. ضوء الشمس المنخفض بدا لي يتسلل بتكاسل من خلال النافذة، وهو يسلط بشكل شاحب انعكاسه على وجهينا، كأنه يكشف كل شيء بلا رحمة.

- "أكان يجب أن نصل إلى هذه المحطة؟" سألتها بصوت مرتجف.

وقفت هناك بجانب اللوحة المعلقة على الحائط، وكأنها كانت تحاول إخفاء مشاعرها خلف قناع البسمة الهزيلة:

- "ربما لم يبق لدينا خيارات أخرى." أجابت بصوت مكسور.

تنفست بعمق وحاولت التركيز على ملامح وجهها، ربما لأجد فيها دليلا على أن كل ما كان يحدث ليس إلا حلما وسينتهي قريبا.

مضت الدقائق كأنها ساعات، وكل كلمة نطقناها على قلتها حملت وزنا ثقيلا من الماضي والحاضر. الحب الذي اجتمعنا عليه، اللحظات السعيدة التي

قضيناها معا، كلها أضحت مجرد ذكريات غرقت في الماضي. وفي الوقت نفسه، كان اليأس يتسلل إلى كلماتنا ويمزجها بالصمت المرير.

- "هل تذكرين عندما كنا نجلس هنا على هذه الأريكة، ونحن نتحدث عن مستقبلنا؟" قلت بصوت هامس، محاولا استحضار تلك اللحظات التي كانت تجمعنا فيها الأحلام والأماني.

أبدت علامات الحنين من خلال طرف عينيها، ولكنها سرعان ما أغمضت لتهمس بعد ذلك :

- "نعم، أتذكر ذلك، ولكن الأمور تغيرت، ولا يمكننا تجاهل هذا."

كنت أعلم أنها على حق، ولكن لم أكن أقو على تجاهل الألم الذي ملأ قلبي. ربما كان الوقت قد حان لنترك الخلاف ونسلك طريقا جديدة، لأن الانفصال أمر قاس بالنسبة لكلينا. كنت أحاول إقناع نفسي أنه، من يدري، ربما قد يفتح الباب أمام فرص وتجارب تعلم جديدة.

كانت تلك اللحظة عبارة عن صدمة مؤلمة لروحي. تجمدت لحظة عندما التقطت نظرة من عينيها، عينان كانتا تتلظيان من القسوة والخيبة والانكسار. سيفا حادا أصبحت كلمة "انفصال" يشطر قلبي نصفين، لم أتوقع أبدا أن هذه العلاقة سيأتي لها يوم تنهار فيه بهذه الطريقة. شعرت بأن الجدران تهاجمني وتضغط على صدري لتخنقني. المكان، الذي كنت أشاركها فيه يوما ما الأحلام والتطلعات لمستقبل مشرق، غدا وكأنه ينبض بألم الذكريات المنتحرة، يرتعش تحت وطأة وجودنا مختلفين ومتنافرين.

الأثاث الذي كان يعكس مرحلة زمنية سابقة من حياتنا الفرحة والسرور، الأرائك الرائعة التي جلسنا عليها متقاربين في همس وانسجام، الطاولة التي استضفنا عليها ضيوفنا فرحين، كلها أصبحت الآن مجرد قطع بلا روح تشهد

على نهاية شيء خلته لن ينتهي أبدا. وكأن الستائر الثقيلة كانت تودع تلك الأوقات السعيدة بصمت مطبق، ترتفع ببطء لتكشف عن وجهين محطمين. ومع كل شعاع من ضوء الشمس الذي اخترق النافذة، شعرت وكأنه يحدق بروحي، يكشف كل ما يكتنفها من آلام وجراح.

- "ما كنت أتوقع يوما أن تكون نهاية قصتنا انفصالا." قلت بصوت مرتجف.

صار صوتها ينعكس في الهواء كأنه نداء استغاثة. وما كانت تلك اللوحة المعلقة -عبارة عن عشيقين تشابكت أيديهما- على الحائط إلا تعبيرا عن الحزن الصامت والذي لم نجد لسانا للبوح به.

- "لم يبق لدينا خيارات أخرى." همهمت بصوت مكسور، كما لو أن كل كلمة خرجت من فمها كانت تراقص سكرة موت.

نظراتنا التقت حيرى، تتقد مرارة، وكأنها تقاسمت الألم في صمت، وكأننا قد أخذ كل واحد منا يمرر رسالة اعتذار للآخر، لأننا سنترك كل شيء وراءنا، بما في ذلك أحلامنا المشتركة.

مرت الدقائق ببطء شديد، تمرغت فيها كل كلمة في الأسى وكأننا كنا نحمل ثقلا لا يمكن تحمله. الذكريات صارت تلتف حولنا مثل خيوط غزيرة تحاول أن تلتقط أخرى، محاولين في الوقت نفسه الهروب من هذه الحقيقة المؤلمة.

- "هل تذكرين وعودنا بعدم الافتراق عن بعضنا مهما حدث؟" سألت بصوت هامس، حاولت أن أستدعي ذكرى تلك اللحظات التي كانت تضيء وجهينا بابتسامات مشرقة للضغط عليها علها تحنو.

لم تستطع أن تخفي الحنين في عينيها، لكنها سرعان ما أغلقتهما وهمست بكلمات كالسهام تخترق قلبي :

- "نعم، أتذكر، وعلينا أن ننسى ذلك."

كانت هذه الجملة مثل سحابة داكنة تلوح في الأفق، تشير إلى ما هو قادم بصراخ داخلي لم أكن أستعد له. كانت تلك هي العقدة، اللحظة التي كنت أخشاها، تلك اللحظة التي كان يجب علينا مواجهتها بصدق وبلا رحمة.

لم أدر بأي شكل نطقتها، لكني أحسست ساعتها وكأني يستأصل من جسدي عضو دون عملية تخدير:

- "أنت طالق."

اخترقت هذه العبارة كل خلية من دماغي حتى لتعطلت معها حواسي. هوت كموجة عاصفة تتلاشى على شاطئ الواقع المؤلم. لقد تحولت من مجرد كلمة إلى واقع مرير أمام عيوننا. كان الحب الذي جمعنا قد وصل إلى الطريق المسدود، وكل مسار بعده صار يبدو مليئا بالمآسي والتحديات.

أخذ اليأس يتسلل جارفا إلى قلبي، وكنت أدرك أن الزمن قد حان لأدرك حقيقة مؤلمة: قد حلت النهاية لتلك الرواية التي كتبناها معا.

لما خرجنا من تلك الغرفة المعتمة، تركنا وراءنا لوحة تعبر عن كل شيء ماض ومفقود. توجهنا نحو طريق جديد، مررنا بجدران الفواصل ونظرنا إلى الوراء بألم وندم، ولكن بدواخلنا كانت هناك شرارة من الأمل. قد تكون النهاية حزينة ومؤلمة، ولكنها قد تكون بداية لشيء جديد، لحياة نستطيع فيها تجاوز الأوجاع ونبني جسرا على ركام الذكريات.

فاس، في: 2023/09/08

ما بال الزوج تغير؟!

أصبحت لا تطيق رؤيته مشغول البال صامتا مطأطئ الرأس على طول. تساءلت والحيرة تأكل أحشاءها: " فيم يفكر الرجل؟ ترى ما يشغل باله؟"

رغم إلحاحها الشديد لم تلق جوابا، فمزاج الرجل كان مضطربا إلى حد أنه لم تعد لديه رغبة في الحديث والإفصاح عما به، وكان سؤالها الوحيد المتعدد الصيغ :

- "ما بك قد تغير طبعك منذ مدة؟"

وكان رده الذي لا يشفي غليلا:

- "لا شيء ..."

تكدر الجو بين الزوجين، ولجـَّت هي في الصدود الذي لم ينتبه له الرجل إذ قد تمكن منه الانشغال حتى بات يهمل شكله، صارت لحيته كثة وصار هندامه متواضعا إلى حد القول بأنه أصبح كهندام مجذوب.

تصدع تماسك الرفيقين الذين لم يسبق لهما أن عرفا توترا مثل هذا من قبل، فقد استمرت علاقتهما أكثر من سبع سنوات ذاقا فيها معا حلاوة السعادة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. مضى على هذا الحال قرابة شهر، واضطراب الزوجة كان يزيد. فكرت في الانفصال تهورا لكن سرعان ما تراجعت. فهو زوجها على كل حال لا يمكن أن تنسى بين عشية وضحاها ما كان بينهما من مودة وسكينة. لكن المرأة بطبعها ضيقة النفس قد تفقد صبرها في أية

لحظة وقد يكون تصرفها غير لائق. وهذا ما حصل، فقد تمكن منها الوسواس وظنت بزوجها ظنا خبيثا:

- "لا يفسد طبع الرجل إلا أنثى ... ترى من هي سعيدة الحظ التي جعلت زوجي بهذه الحالة؟!" كانت تقول في نفسها كل وقت وحين.

استبدت بها الظنون فأشارت عليها واحدة من معارفها أن تقصد عرافة الحي، فهي حسب قولها:

- "عرافة يا أختي لا تفوتها جزئية وسرها نافذ، وبإمكانها كشف المستور."

طبعا لم تجد الزوجة بدا من أن تزور صاحبة السر النافذ لتكشف لها عن المستور. دخلت عليها وكلها ارتباك وارتعاش. سألتها العرافة بصوت ذكوري متحشرج:

- "اسمك يا بنت واسم أمك؟"

- "اسمي ليلى وأمي ماريا."

- " اسم زوجك واسم أمه؟"

- "سيف وأمه علية ..."

- "ما حاجتك؟"

- " زوجي مشغول عني هاته الأيام الأخيرة ..."

- "هممممم ... فهمت ..."

- " أظن أنه على علاقة بواحدة."

- "هممممم ... فهمت ..."

شرعت العرافة تنثر حبات مما جمعت في كفها من بخور على مجمرة وهي تهمهم بكلمات غير مفهومة، ثم أردفت قائلة:

- "خائن وغدارة."

- "ماذا تقولين؟" صاحت ليلى وهي مصدومة ومرعوبة.

أضافت العرافة وهي تحدق مليا بالزبونة:

- "رشيقة وجميلة وجذابة، معذور ابن علية ... معذور..."

- "ها...! ها...!" تمتمت الزوجة مصعوقة.

- "ظنك كان في محله يا بنتي... سلبت عقله وجعلته كالمهبول اللعينة ..."

- "عرفتها جارتي سعاد هي من تستطيع فعل هذا..." قالت ليلى بجنون.

لإنهاء الزيارة، أمرت العرافة السيدة بأن تأتي في الغد بثوب مستعمل من أثوابه بعد أن تبلله بريقه قبل أن يستفيق من نومه، كما أمرتها بجلب حلاوة للأسياد واشترطت مبلغا ماليا مهما لكي تصلح من حال زوجها . عند عودتها إلى البيت وجدت ليلى زوجها قد دخل الحمام، فقصدت غرفة النوم لتخبئ قميصه الذي كان يرتديه. جفلت أعصابها اضطرابا لما رأت علبة صغيرة وبرية حمراء موضوعة على المنضدة وقميص نوم نسائي جديد وفوقه رسالة، قرأتها وأناملها ترتعش:

- "فرجت عزيزتي ... فرجت ... ويحق لنا الاحتفال..."

فتحت العلبة، وهي تنظر إلى المرآة المثبتة فوق المنضدة، فبرقت القطعة الألماسية في الخاتم تماما كما برقت دمعة سالت على خدها الذي استعاد تورده.

مطاردة حلم غير مكتمل

غابة كثيفة ومظلمة لا تضيئها شمس ولا قمر، يسير تيّمٌ وسطها دون هدف، هكذا كان حلمه كلما أخذته سنة أو خلد إلى نوم بالليل أو بالنهار. وكلما استيقظ، كان يحاول تذكر تفاصيل أو جزئيات هذا الحلم، ولا يتذكر سوى أنه يمشي وسط غابة كثيفة الأشجار ومظلمة. فيتناول قبل أن يغادر فراشه قلما ويرتمي في بحر الخيال ليجد تصورا عن بداية ونهاية لهذا الحلم الغريب المتكرر، وكلما أسعفته الكلمات وجادت عليه بقصة، بعد مراجعتها تجده لا يحس بالرضا ومن تم يمزق الورقة ويلقي بها في سلة المهملات.

كان تيّمٌ يبحث عن تتمة حلمه في قصة كاملة لها بداية ونهاية وترقى لمستوى تطلعه، كانت رحلته شاقة، فما أصعب أن تدمن على الكتابة وتستجدي الإلهام بمختلف الطرق حتى وإن كان الأمر يستدعي تغيير نمط حياتك. بالنسبة له، فقد أصبح شبه مدمن لحبوب النوم، غايته أن ينام وأثناء نومه يجد تتمة لحلمه الذي حيره. ولقد عزى تكرار هذا الحلم المبهم إلى الاحتياجات النفسية التي لم تحقق بعد. عندما استشار طبيبا نفسيا لم يقنعه بشيء ذي جدوى، فلم يزد عن قوله بأن هذا قد يكون نتيجة لشعوره بالتوتر والقلق تجاه شيء ما لا يستطيع الحصول عليه، أو مشاكل من الماضي لم يستطع حلها، ونصحه بعلاج توتره أو محاولة حل مشاكله بطرق أو بأخرى. بحث في كتب تفسير الأحلام واتصل بالمفسرين أيضا، ولم يعثر على رأي ثابت مقنع، مما جعله يصمم على المواظبة على الكتابة واحتراف الغطس في بحار الكلمة.

صار يعتمد طقوسا قبل النوم، كأن يطفئ الأنوار ويسدل ستائر النوافذ ويغمض عينيه وهو يسمع لقصة مقروءة مسجلة بصوته أو صوت غيره، أو يفتح عينيه جاحظتين ليرى فيلما أو جزءا منه بعد أن يختار الذي يقدم مشاهدا في الغابة، ويظل يعيد تلك المشاهد ثم يغمض عينيه، ومبتغاه أن يكتمل الحلم المتكرر، لكن في كل مرة لا يرى سوى نفس الحلم ولا شيء غيره.

عاش تيّمٌ مدة طويلة في ظل هذا العذاب. جرب مرة أن يتجول في الغابة ليلا، وتحسر كيف لم يفكر في هذا الأمر من قبل. تسلح بالإصرار، واختار يوما لا قمر فيه، قصد الغابة وسار بين أشجارها العالية بخشوع كأنه يتوسل الإلهام أن يكرمه ببقية الحلم المتكرر. في أول ليلة حاول غلق عينه تاركا أمله يضيء له الطريق، فهُيئ له أنه يسمع أصواتا مرعبة وأنه يركض مذعورا فلم يقاوم وعاد مسرعا إلى غرفته، ثم تناول منوما ورمى بجسمه على السرير ونام. تلك الليلة رأى نفس الحلم، كان يسير في غابة كثيفة مظلمة، والجديد أنه رأى أيضا بين الجذوع أشكالا غريبة تسير عكس مساره غير آبهة بوجوده، حين غامر وتقدم رأى فجأة نارا تشتعل، فتقدم إليها وأخذ قبسا منها وأكمل مسيرته ولما التفت كانت النار قد اختفت، انتهى الحلم ونهض مرتعبا. ولكيلا يضيع خيوط القصة، بادر بكتابة هاته الجزئيات وبحث عن تفسير لهذا الحلم، فالتبس عليه الأمر وأخذته الحيرة، لكنه حاول مرة أخرى في ليلة ظلماء أن يقصد الغابة، لما وصل إليها، كانت الغابة تحترق أمام ذهوله، محبطا عاد أدراجه إلى منزله ليستتر عن العالم في غرفته البئيسة ويتناول حبوبه المنومة. وهو نائم، رأى الغابة تحت غيوم مظلمة تصيبها بوابل من الغيث، خمدت النار وخرج من كان فيها من كائنات غريبة يحملون وردا ويهتفون هتافات مبهمة، لما اختفوا عن ناظره توغل في الغابة معاندا

ليكتشف أن الغابة كانت سليمة، وأنه يسير فيها مغمض العينين، وأن حدسه من كان يرشده إلى أن اهتدى إلى كوخ صغير بسيط من الخارج، وثير، فاخر ومذهل من الداخل، دخله مغمض العينين، ثم سمع صوتا بعيدا وكأنه ترحيب، فتح عينيه في الحلم، فوجد نفسه يفتحهما في الواقع. سر لهذا الحلم، "وأخيرا، قال في نفسه، الحلم بدأ يكتمل." أخذ دفتره وصار يكتب قصة حلم في الغابة فتدفق سيل الكلمات وحصل على بداية ونهاية سلسلة لحلم طالما انتظر اكتماله. صار إنسانا متفائلا أكثر مما مضى وكان تأويل حلمه خيرا، حيث كانت الشعلة التي حملها قبل ذاك المنام دليلا على بداية رحلة في عالم الكتابة، بعدما صار مطاردا بارعا لأحلام متكررة وغير مكتملة، مروضا ساحرا لأفكاره وخياله، إلى أن توج إصراره بجائزة يطمح لها أكبر الكتاب المبدعين .

فاس، في: 2022/11/19

بداية الهدوء الزائف

في عالم يرسم فيه الوقت لوحة جميلة من السكون والحياة، كان منزل عائلة أحمد ممتلئا بالدفء والتآلف. الأب محمد، صانع الأحلام في المصنع، والأم سارة، قلب المنزل وحنانه، يضفيان لمسة العاطفة والأمان على كل لحظة. وفي تلك الحديقة الخلفية، كانت ضحكات الأطفال مثل موسيقى تتدلى من السماء، تحيط المكان بنور السعادة والحياة.

عندما استعدت السماء لعرضها البديع من الأزرق الصافي وأخذت تلامس أشعة الشمس البراقة ربوع البلدة، كان الهدوء يخيم على كل شبر منها. فجأة ودون سابق إنذار، اندلعت السماء بألوان مظلمة من الدخان والنيران، وتحول الهدوء الى ضجيج مرعب. صارت القنابل المتتالية تتراقص في السماء مخلفة وراءها أصوات الدمار وأشلاء الأحلام المحطمة. اختلطت صرخات الفزع وصدى الانفجارات بصمت الذعر الذي لف البلدة.

في تلك اللحظات القاتمة، باتت السماء مسرحا لرقصة الدمار والخراب. المنزل السابق المفعم بالسكينة والأمان أصبح الآن بقايا محترقة وأنقاض مبعثرة. كانت أصوات الصرخات والانفجارات تختلط مع صمت الرعب، والخراب يشعل الأفق مع تطاير الحطام والركام في كل اتجاه.

سارة، الأم الحزينة، كانت تتهاطل دموعها المرة على وجنتيها، وقلبها ينزف لفقدان طفليها، محمود ونور، في هذه الكارثة الفظيعة. في الوقت نفسه، كان الأب محمد يعاني آلاما لا تطاق بعد إصابته البليغة، حيث تبددت أحلامه وسط الدخان الكثيف والصخب المدمر.

وبينما تتراكم الأنقاض والفجيعة، تصارعت سارة مع اليأس والألم، تبحث عن أي أثر يشير إلى نجاة باقي أفراد عائلتها. لكن الوجع كان مكبوتا في قلبها المكسور، وصمت الخسارة شرع يزداد كلما تطايرت شظايا الذكريات المدمرة في أفق الفراق.

بينما تطل النيران على المدينة المنكوبة، كانت سارة تتحاشى النظر إلى الأفق المحترق. كانت عيناها مثل البحر المضطرب يعكس عمق الأسى والفقدان. كانت تشعر بالعزلة وكأنها جزء من عالم مظلم مفقود.

فيما حلقت ذكريات السعادة والأمل في عقلها، كانت تسمع زغاريد الفرح وضحكات الأطفال تترنح في ذهنها. تذكرت أيام السعادة التي كانت تجتمع بها أسرتها في هذا المنزل الذي تحول إلى طلل كئيب، تلك الأيام التي ضحكت فيها الشمس وغنت الطيور.

بعيدا عن الألم، تحاول سارة استحضار قوة جديدة من الداخل، قوة لتحمل الخسارة والحزن. كانت الصورة الرمزية لامرأة وحيدة في عتمة الليل تعكس صورة اليأس والجمود المؤلم.

في صمت مطبق يلف الدنيا، بدأت سارة تراقب حطام حياتها الفاضحة، تشير أنقاض المنزل الذي كان مأوى لأسرتها إلى ماض مفقود. كانت كل حبات الرماد المتطايرة كصدمات على وجه الواقع القاسي الذي تمر به.

في هذا الظلام الدامس، وقفت سارة وحيدة تحت ظلال الخراب، ولكن رغم ذلك، استلهمت قوة لا تضاهى من روحها المحزونة. كانت الصورة البلاغية لامرأة تقف في وجه العواصف، بتصميم وعزيمة تفوق حدود اليأس والضياع.

بصمت مؤلم، وعينين مليئتين بالأمل، بدأت سارة في تكوين وعد جديد. وعد بالتحدي من أجل البقاء، بالنهوض مرة أخرى وبناء جديد للحياة رغم تهدمها.

"يا إلهي ! ما هذا؟" صرخت سارة بغيض مكظوم بينما تجوب عيناها الشوارع المدمرة. كانت البلدة وكأنها عبرت حربا طاحنة، الأبنية باتت ثبورا والشوارع مشهدا فظيعا من كوارث الحروب.

"أين هم؟" سأل محمد الجار حسن، الذي كان يبحث بين الأنقاض عن أي مؤشر يدل على أن جثث شقيقيه وابنه لا تزال هناك.

"أحمد وفهد وأيمن ! لعلهما يكونا في أحد المخابئ." ردت سارة محاولة تهدئة نفسها وكذلك حسن الذي كان يشعر باليأس يتسلل إلى قلبه.

"هذه مأساة حقا، يجب أن نجدهم. لعلهم أحياء يحتاجون لمن يخرجهم من تحت الأنقاض." قال حسن بصوت محبط وهو يحاول إزالة الطوب والتراب باستخدام يديه المجروحتين.

كانت الصورة المؤلمة تتكشف أمامهما، الحياة السابقة الهادئة أصبحت ذكرى بعيدة، وبقايا الأمل مع البحث المضني أصبحت تشكل الجانب الوحيد من المستقبل المظلم.

"هل يمكن أن يكونا هنا؟" سألت سارة وهي تتجول فيما بين الأنقاض تتحسس أي إشارة تلقي الضوء على مكان دويها.

"لا أجدهم، أين هم يا إلاهي؟ ماذا حل بهم؟" سأل حسن وهو يحاول رفع قطعة ضخمة من الخراب.

"يا رب." صرخت سارة بصوت مبحوح بينما تراوغ بين الحطام واليأس يلتهمها.

في الوقت نفسه، تسللت أصوات منعزلة تشبه الصراخ. "هل يسمع أحد؟!" صاح حسن بينما اندفع إلى المكان الذي انبعثت منه تلك الأصوات المكتومة.

"إنهم هنا !" صاح حسن وسارة مستنجدين، وهما يزيحان الركام بجدية أكبر.

وفجأة، بينما هما ينقبان، ظهر جسدان متلوين لابنيها. كانت الصورة المأساوية تظهر حجم الكارثة، والدموع تتدفق من عيون سارة وحسن.

بذرة الأمل

الشارع الضيق المظلم كان يلوح بأسراره وأحزانه في كل زاوية. الحجرات المتهالكة المحاذية للشارع، كان يقيم فيها عائلة محمد وليلى، المكان كان جهازهم الوحيد لمواجهة قسوة الحياة. الغرفة الصغيرة التي كانوا يعيشون فيها لم تكن تحتوي سوى على أسرة بالية وبسيطة وموقد قديم. الليالي كانت تمر بصمت مكتوم، والنجوم في السماء كانت الوحيدة التي تمنحهم بعض الضوء والأمل.

محمد، الأب الشجاع والمثابر، كان يخرج يوميا باكرا للبحث عن عمل، ورغم الرفض المتكرر والأبواب المغلقة، لم يفقد الأمل أبدا. وفيما كان يمرر وجهه الذي يحمل تجاعيد الهموم بين أبواب أصحاب العمل، كان يحمل في عينيه شرارة العزم والإصرار. ليلى، الأم الحنون، كانت تقف بجانبه، تدعمه وتشجعه رغم الظروف الصعبة.

أطفالهم، علي ونور وسارة، كانوا يشعرون بثقل المسؤولية وهم يشاهدون والديهم يقاتلان من أجل إسعادهم. كل يوم كان تحديا جديدا، وكل لحظة كانت تعلمهم درسا جديدا عن معاناة الحياة وأهمية الأمل.

في إحدى الليالي الباردة، وبينما كانت العائلة تجلس حول الموقد البائس محاولين الاستدفاء، قرر علي، الابن الأكبر، أن يشارك والديه في تحمل العبء. قال بكل ثقة وحماس:

- "سنجد طريقة لتحسين أوضاعنا. سنثابر ونتحدى الظروف معا."

في إحدى الليالي الباردة والمظلمة، عندما كان السكون يخيم على الحي، اكتشفت سارة كتابا قديما ومجهول الأصل تحت سريرها المهترئ. كان الغلاف متآكلا والصفحات مصفرة من أثر الزمن، ولكن رغم ذلك، كان يبدو كأن الكتاب يحمل في طياته أسرارا وحكايات باهرة.

استقرت سارة بجوار الموقد الخافت الذي كان يحاول بصعوبة إضاءة الغرفة المظلمة. فتحت الكتاب بحذر، والأمل يتسلل إلى عينيها بينما هي تقرأ الصفحات الأولى. كان الكتاب يحكي قصصا عن بطولات شجاعة ونجاحات رائعة، وكيف أن الإرادة القوية والإصرار يمكنهما تحقيق المستحيل.

تهللت أسارير سارة بالفرح، وهي تقرأ بصوت عال لأخويها:

- "اسمعا، هذه القصص تثبت أن الأمل لا يموت أبدا، حتى في أصعب الظروف. نحن يمكننا تحقيق الكثير إذا آمنا بأحلامنا وعملنا بجد من أجل تحقيقها."

كانت كلماتها تلامس قلبيهما، وكانا يستمعان بانتباه ودهشة. عندما انتهت سارة من قراءة الكتاب، بدأت النقاشات الحماسية بينهم:

- "لماذا لا نحاول نحن أيضا؟" قال علي بابتسامة مشرقة على وجهه.

- "نحن نملك الإرادة والعزيمة، وهذه القصص تثبت أن العزيمة تجعل المستحيل ممكنا." قالت سارة بحماس.

اتفق الكل على وضع خطة لتحقيق الأحلام وصاروا يناقشونها بتأمل عميق. كانوا يتشاركون أفكارهم ويستمعون بانتباه لآراء بعضهم البعض:

- "سنجعل هذا الحلم حقيقة." صرخ نور بحماس، وكانت عيونه تتلألأ بالتفاؤل.

بدأت شعلة الأمل تشتعل بين أفراد هذه العائلة الصغيرة، وأصبح الكتاب القديم ليس مجرد صفحات مصفرة بل كان بوابة إلى عالم من الأحلام والطموحات.

بينما كان عائدا من المدرسة في صباح الغد وكان يوما مشمسا، لاحظ علي مجموعة من الأطفال يلهون بألعابهم الفاخرة ويضحكون ببهجة. وقد كانت وجوههم تنعكس بالثقة والراحة. تجمد علي للحظة، يراقبهم بحسرة عميقة في عينيه. كان يدرك الفارق الكبير بين حياته وحياة أسرته. في تلك اللحظة، استشعر علي دافعا قويا ينبعث من داخله. قرر أن يحول هذه الحسرة والإحساس بالعجز إلى دافع للتغيير. بدأ يفكر في طرق تحسين وضع عائلته وجعل حياتهم أفضل.

تحدث علي مع إخوته ووالديه عن خطته:

- "سنبدأ مشروعا صغيرا." قال بثبات ثم أردف:

- "سنصنع ألعابنا الخاصة، ألعابا بسيطة ومبتكرة يمكن أن نبيعها."

حبذ الجميع الفكرة وشرعوا يجمعون الأفكار ويعملون بجدية على تنفيذ المشروع. اجتمعوا في غرفة صغيرة في منزلهم، حيث أصبحت الأفكار تتدفق والأيادي تعمل بجد. بينما كانوا يقومون بصنع الألعاب البسيطة من المواد المتاحة، كانوا يشعرون بالحماس والأمل يعود إلى قلوبهم.

وبالفعل، تمكنوا من صنع كومة من اللعب الرائعة والممتعة. كانت تحمل بصمة إبداعهم الخاصة، وكانوا واثقين أن هذه اللعب ستجلب لهم النجاح. قرروا عرض الألعاب في سوق محلي لبيعها.

في كل مبيعة، كانوا يشعرون بفخر ورضا، لأنهم لم يكتفوا بمجرد تحقيق تغيير في حياتهم الخاصة، بل أصبحوا يلهمون الآخرين أيضا بروحهم وإصرارهم على تحقيق النجاح رغم الصعاب. وهكذا، طفقت الرياح التي هبت بالتغير تحملهم نحو مستقبل مشرق وأحلام جديدة.

مرة، التقى علي صديقا جديدا في المدرسة، كان اسمه كريم، فتى ينبض بالحيوية والحماس كان يمتلك قلبا كبيرا ورغم ثراء عائلته، إلا أنه كان يفهم قيمة المساعدة والعمل الخيري.

عاونه علي في فهم الحياة في الشارع وتعرف على عائلته وواقعهم اليومي. بينما كانا يشاركان الأوقات، صارا يتطرقان إلى فكرة مشروع يمكنهم من مساعدة العائلات المحتاجة في الحي.

مع بداية فصل جديد من الحماس والعزم، أطلق علي وكريم حملة تبرعات في المدرسة والحي. انتشرا بروح العطاء والتضامن، يبثان الوعي حول الفقر والحاجة، وكانا يتحديان الصعاب لجمع المساعدات للعائلات المحتاجة.

بدأ الأولياء والمدرسون يتفاعلون مع رسالتهما القوية، وبدأوا يشاركون بكرمهم. في أحد الأيام المشمسة، انتظمت صفوف الطلاب والمعلمين والأهالي، يحملون معهم صناديق الطعام والملابس والألعاب. كانت الحملة تجذب الانتباه والدعم، وكل يوم كان يأتي بلمسة إيجابية جديدة.

ولكن، في يوم من الأيام، وأثناء تفريغ إحدى الصناديق، اكتشفوا شيئا غير متوقع. وجدوا بذرة صغيرة جدا، عالقة بين بقايا الملابس والألعاب. في البداية، لم يكترث بها أحد، لكن عليا لاحظ أن البذرة كانت مثلها مثله، صغيرة وهشة، وقال في نفسه: "ربما هذه البذرة تحمل في داخلها قوة النمو والحياة الجديدة."

أخذ البذرة وزرعها في حديقة المدرسة الصغيرة على مرأى الجميع. لم يكن أحد يعلم ما النبات الذي سينبت منها، لكنهم قرروا متابعة الرعاية على أمل أن يكون لديهم شيء جميل ينبعث من الأمل الذي زرعوه.

وبشكل مدهش، بدأت البذرة في النمو بسرعة. كانت أوراقها تظهر وأغصانها تكبر يوما بعد يوم. وفي لحظة مفاجئة، ازدهرت البذرة وتحولت إلى شجرة كبيرة وجميلة. كانت الشجرة تعلن عن الأمل والتغيير، وكأنها رمز للحياة الجديدة التي تنمو في الأماكن الظلمة.

كان هذا الحدث المدهش هو المحفز الذي جعل الحملة أكثر إلهاما ونجاحا. بدأ الناس يرون الفرصة والأمل في أمور صغيرة، فتعلموا أن الحياة يمكن أن تنمو وتزدهر حتى في أصعب الظروف، مثلما فعلت البذرة الصغيرة التي نبتت في قلوبهم وأحلامهم.

الخفاش

في زقاق ضيق بين منازل حي شعبي، حيث تتراقص ظلال المساء مع أصوات الباعة المتجولين، كان سمير يجلس على عتبة بيته الصغير يراقب العالم وهو ينقلب رأسا على عقب. لم يكن انقلابا حقيقيا، بل كان سمير نفسه من انقلب – حرفيا.

منذ أسبوعين، بدأ سمير يرى العالم مقلوبا: الأرض في الأعلى، والسماء في الأسفل، والناس يمشون بأقدامهم المتدلية نحو الفضاء اللامتناهي. في البداية، ظن أنها مجرد دوخة عابرة من كثرة العمل في المصنع، لكن الأمر استمر وتطور حتى أصبح واقعا لا مفر منه.

"مريض أنا، بلا شك مريض، وأي مرض هذا ؟ !" همس لنفسه وهو يراقب جاره أبو محمد وهو "يسقط" من باب بيته نحو السماء، قبل أن "يهبط" مجددا ويستقر بطريقة ما على الأرض المعلقة في الأعلى.

مرت الأيام وسمير يتعلم كيف يعيش في عالمه المقلوب. اكتشف أن الأمر ليس مجرد خدعة بصرية، بل تحول في إدراكه للوجود ذاته. في المصنع، بينما كان زملاؤه يركزون على آلاتهم المعلقة في السماء، كان سمير يتأمل الأرض الممتدة فوق رؤوسهم كسقف لا متناهي.

-"أنت لست طبيعيا اليوم يا سمير. قال له مشرف العمل، أنت تعمل وكأنك في حلم."

ابتسم سمير ابتسامة باهتة. فهو لم يعد يعرف ما هو الحلم وما هو الواقع. فالواقع نفسه أصبح حلما مقلوبا، والحلم أصبح الحقيقة الوحيدة التي يمكنه فهمها.

في المساء، بدلا من الذهاب إلى المقهى الشعبي كالعادة، كان سمير يتجه إلى السطح. هناك، معلقا بين السماء والأرض، كان يشعر بتوازن غريب. النجوم تحته والحجارة فوقه، والصمت يلف المكان كعباءة من الحكمة القديمة.

ذات ليلة قمراء، بينما كان سمير على السطح يتأمل النجوم المرصوفة تحت قدميه، سمع صوت رفيف أجنحة. التفت ليجد خفاشا صغيرا معلقا بالمقلوب من حافة السطح - أو بالأحرى، معلقا بالطريقة الصحيحة الوحيدة في هذا العالم المقلوب .

نظر سمير إلى الخفاش الذي كان ينظر إليه. ففهم سمير الحكمة الخفية وراء انقلابه.

- "أنت تعرف السر، أليس كذلك؟" همس سمير للخفاش الصغير.

الخفاش لم يجب، لكن عينيه اللامعتين في الظلام كانتا تحملان إجابة عميقة. فالخفاش الوحيد بين المخلوقات الذي يرى العالم من منظور مختلف، المعلق بين السماء والأرض، لا ينتمي لأي منهما ولا يستقر في مكان ثابت.

في الأيام التالية، بدأ سمير يفهم أن انقلاب رؤيته لم يكن مرضا، بل كان تحررا. كان العالم من حوله يسير في اتجاه واحد، يركض نحو أهداف موهومة، يتسابق نحو المادة والشهرة والسلطة، بينما الحقيقة معلقة رأسا على عقب أمام أعينهم ولا يرونها.

في المصنع، كان زملاؤه يتذمرون من العمل، من الحياة، من الظروف، بينما سمير كان يرى جمالا خفيا في حركة الآلات المعلقة في السماء، في رقص العمال "المقلوبين"، في تناغم الأصوات المتصاعدة من الأرض نحو اللامتناهي.

- "هؤلاء الناس يعيشون في السماء ويظنون أنهم على الأرض"، تمتم سمير وهو يراقب زملاءه، "وأنا أعيش على الأرض وأرى حياتي في السماء."

لم يمر الأمر دون ملاحظة. بدأ الناس يتحدثون عن تصرفات سمير الغريبة، عن نظراته الشاردة، عن طريقة مشيه الحذرة وكأنه يخشى السقوط في السماء.

- "هذا الراجل أكيد أنه قد جن"، همست أم محمد لجارتها، "صار يمشي وينظر إلى الأعلى كأنه يخاف من أن يتخطفه نسر ويطير به."

- "اللهم اشفه"، ردت الجارة، "هذه الحياة تجنن الحكيم."

لكن سمير لم يعد يهتم بآراء الناس. كان قد اكتشف سرا عظيما: أن الجنون الحقيقي هو في قبول العالم كما يبدو، دون التشكيك في طبيعة الواقع نفسه. الحكمة الحقيقية تكمن في رؤية العالم من زاوية مختلفة، حتى لو كانت مقلوبة.

بمرور الوقت، بدأ سمير يطور قدرات غريبة على التأقلم مع وضعه الجديد. حيث أصبح قادرا على التنبؤ بسقوط الأشياء قبل حدوثه، لأنه كان يراها "ترتفع" نحو الأرض المعلقة في الأعلى. أصبح قادرا على فهم مشاعر الناس بطريقة أعمق، لأنه كان يرى أرواحهم معلقة بين السماء والأرض، لا تعرف إلى أين تنتمي.

الخفاش الصغير أصبح رفيقه الدائم، يظهر كل ليلة على السطح، وكأنه معلم صامت يذكره بحكمة البقاء معلقا، بحكمة عدم الانتماء إلى أي من العالمين.

-"نحن الاثنان مقلوبان في عالم مقلوب"، همس سمير للخفاش ذات ليلة، "لكننا الوحيدان اللذان نرى الصورة الحقيقية."

أدرك سمير أن انقلاب رؤيته كان رمزا لانقلاب أعمق في فهمه للحياة. المجتمع يركض خلف السراب، يبني قصورا في الهواء، ويحارب من أجل أوهام. بينما الحقيقة بسيطة وصافية: نحن جميعا معلقون بين السماء والأرض، لا ننتمي إلى أي منهما بشكل كامل.

الفضيلة الحقيقية للكينونة لا تكمن في الثبات على موقف واحد، بل في القدرة على رؤية العالم من جميع الزوايا، حتى المقلوبة منها. الخفاش يعلم هذا السر: كيف يعيش معلقا دون أن يسقط، كيف يرى في الظلام دون أن يفقد طريقه.

مع الوقت، تعلم سمير كيف يعيش في عالمين متوازيين: عالم الناس العادي حيث الأرض تحت والسماء فوق، وعالمه الخاص حيث كل شيء مقلوب ومختلف. أصبح قادرا على التنقل بين الرؤيتين حسب الحاجة، كالخفاش الذي يطير في الليل بنفس المهارة التي يطير بها طائر آخر في النهار.

في العمل، كان يؤدي مهامه بكفاءة، لكن روحه كانت تحلق في عالم آخر. مع الناس، كان يتحدث بلغتهم، لكن قلبه كان يترجم كل شيء إلى لغة الرموز والمعاني العميقة.

- "هذه الحياة ليست كما نراها نحن"، قال ذات يوم لصديقه أحمد في المقهى، "إننا نعيش في حلم، والحلم هو الحقيقة الوحيدة."

نظر إليه أحمد باستغراب، لكن سميرا ابتسم فقط. كان يعلم أن هناك أشياء لا يمكن شرحها بالكلمات، بل يجب أن تُعاش وتُفهم من الداخل.

أصبح سمير يشعر بمسؤولية غريبة تجاه العالم. كان الخفاش الصغير يزوره كل ليلة، وكأنه يحمل رسالة خفية: "أنت المترجم بين العالمين، أنت الجسر بين الواقع والحلم."

بدأ سمير يكتب في دفتر صغير، يسجل ملاحظاته عن العالم المقلوب، عن الحكم التي يتعلمها من رؤيته المختلفة. كانت كلماته مثل قطرات من الحكمة، تنساب من قلم يكتب بمداد الحقيقة المقلوبة.

"العبث الحقيقي"، كتب ذات ليلة، "ليس في انقلاب الرؤية، بل في الإصرار على رؤية العالم من زاوية واحدة فقط. الحكمة تكمن في تقبل جميع الزوايا، حتى المقلوبة منها."

في ليلة شتوية باردة، بينما كان سمير على السطح يراقب النجوم المتلألئة تحت قدميه، شعر بتغيير غريب. بدأت رؤيته المقلوبة تتلاشى تدريجيا، والعالم يعود إلى "طبيعته". الأرض عادت تحت قدميه، والسماء فوق رأسه.

للحظة، شعر بالحزن لفقدان عالمه الخاص. لكن الخفاش الصغير ظهر أمامه، معلقا بالمقلوب كعادته، وفي عينيه رسالة أخيرة: "الحكمة لا تكمن في الرؤية المقلوبة، بل في القدرة على تذكر أن العالم يمكن أن يُرى من زوايا مختلفة."

فهم سمير أن تجربته لم تكن مرضا أو هلوسة، بل كانت هدية، هدية الرؤية المختلفة، هدية فهم أن الحقيقة متعددة الوجوه، وأن الحكمة تكمن في تقبل هذا التعدد.

عاد سمير إلى حياته العادية، لكنه لم يعد عاديا. كان يحمل في قلبه سر الخفاش: سر العيش معلقا بين عالمين، سر الرؤية في الظلام، سر التوازن بين الواقع والخيال.

وكلما رأى خفاشا في السماء، كان يبتسم ويتذكر: أن الحكمة الحقيقية تكمن في القدرة على رؤية العالم مقلوبا، حتى لو كان العالم يبدو مستقيما.

والحقيقة تبقى معلقة مثل الخفاش، لا تنتمي للأرض ولا للسماء، بل تعيش في المساحة الوسط، في المنطقة الرمادية بين الحلم والواقع، بين العبث والحكمة، بين الجنون والبصيرة. وربما تكون هذه هي الكينونة الحقيقية: أن نتعلم كيف نعيش معلقين، كيف نرى من زوايا مختلفة، وكيف نحتفظ بالتوازن في عالم لا يعرف التوازن.

الفهرس

الرقم	عنوان القصة	رقم الصفحة
1	توطئة	08
2	استيقاظ غريب	21
3	أكان ينبغي ألا أحلم؟ !	25
4	صمود أرواح	29
5	الطلقة ما قبل الأخيرة	33
6	الفرصة	37
7	الليل والطفل الذي كنت	39
8	الوداع	43
9	بهجة العيش بلا ثمن	49

الرقم	عنوان القصة	رقم الصفحة
10	ظنون مرضية	53
11	النصر قريب	57
12	قيلولة صيفية	61
13	لا زال الثور الأبيض يؤكل	69
14	لحظات في الظلام	73
15	ليت يفك الوثاق	77
16	ليلة مع مصاصي الدماء	81
17	قهوة مرة	85
18	عند الامتحان	91
19	قطعة من جهنم	97

الرقم	عنوان القصة	رقم الصفحة
20	رعب	103
21	أبي لن تبقى وحيدا	107
22	رحلة إلى مدينة النسيان	111
23	أهكذا النومة الأخيرة؟	117
24	الطريق المسدود	121
25	ما بال الزوج تغير؟!	125
26	مطاردة حلم غير مكتمل	129
27	بداية الهدوء الزائف	133
28	بذرة امل	137
29	الخفاش	143

عبد الغفور مغوار

أستاذ اللغة الفرنسية

قاص، شاعر، مترجم، كاتب سيناريو وباحث

"لحظات فارقة" ليس مجرد مجموعة قصصية عابرة، بل هو دعوتي لكم للغوص في أعماق التجربة الإنسانية بكل تقلباتها. أقدم لكم عبر صفحات هذا الكتاب مرآة تعكس جوانب متعددة من الحياة، من الأمل والألم إلى البحث والدهشة. كل قصة هنا هي التقاط مني للحظة فارقة قد تغير مجرى الأيام، وتدفعكم للتفكير في دوافع النفوس والصراع الأزلي بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون. انغمسوا في هذا العالم الذي نسجته لكم من خيوط الواقع ووشوشات الخيال، ودعوا هذه القصص تلامس شغاف قلوبكم وتلهمكم لاكتشاف لحظاتكم الفارقة.

"قررت أن أواجه المرآة لأتأكد من بعض شبحي : قد أكون جسدا بلا أنا، أو أن الذي حبسني في سواد عارم كان جسدا لا يمكنه أن يطل على أحد. فغمغمت: "لست أراه ."" الصفحة: 20

المؤلف